الفصل السابع

تداول المعلومات عبر الانترنت

لاشك ان البحث بهذا العنوان الكبير الواسع ،يمتد ليشمل تعريفات أساسية للمعلوماتية، وللأنترنت، وللعولمة، ثم تشكيل الوعي ،ولما كان عصرنا كله يقوم اليوم على، ثورة معلوماتية ،وثورة في تقنيات الاتصال – ومنها الانترنت- وثورة بالعولمة، ومن ثم الاتجاه إلى تشكيل الوعي المعاصر، والسيطرة عليه، وتدجينه بكل هذه الثورات والمفردات، فلا بد لنا أن نتطرق إلى تاريخ ربع قرن من الزمن الذي حصلت - ولا زالت- فيه هذه الثورات الثلاث بمفاهيمها الجديدة على البحث العلمي والإعلامي علما انها لم تستغرق كل مفرداتها عبر هذا التاريخ القصير، لذا ستصادفنا مشكلة التعريف الاصطلاحي لكل من هذه المفردات بما فيها من تنوع واجتهاد وحتى اختلاف .

ان بحث هذه الثورات الثلاث معناه كتابة تاريخ ثورة في الفكر –المعلوماتية- وثورة في التكنولوديا –الحاسوب ومتعلقاته والانترنت وخادمه الباحث- وثورة في السيطرة السياسية والاقتصادية للقطبية الجديدة والعالم المتقدم عموما عبر العولمة وتطبيقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية .

من هنا فان التساؤلات التي يثيرها هذا البحث كبيرة وعديدة وحتى غير نهائية لانها لازالت تعمل في الواقع المعاصر ما دام التطور ما زال جاريا على مستوى المعلوماتية والتقنيات الاتصالية والعولمة بمضامينها

من هنا فان مشكلة البحث تتسم بالسعة والشمول ولهذا وجدنا انفسنا نسرع الخطى في كثير من التفصيلات خشية الاطالة ،ولهذا ركزنا في مشكلة البحث على صناعة مجتمع المعلومات وما يفرزه من وعي وتأثير على العقول عبر الانترنت كمساحة والمعلوماتية كمضمون، وبالتالي فقد انحصر البحث في الاجابة عن بضعة تساؤلات

منها : أثر المعلومات الاعلامية او العولمة المعلوماتية في التأثير على الوعي، ومنها الطابع القسري للفيضان المعلوماتي على الوعي، ومنها الطابع السياسي والاقتصادي عبر الديمقراطية الالكترونية والتجارة الالكترونية كمعبرين عن مضامين الثورة المعلوماتية في إطار العولمة ،

وهكذا فقد كانت اهداف البحث محددة في الاجابة على هذه التساؤلات عبر استعراض لآراء العلماء والباحثين والتقنيين والسياسيين والاقتصاديين كل في مجال عمله .

كما خرجنا باستنتاجات على مستوى العالم الثالث عموما والوطن العربي خصوصا فيما يخص تأثير المشاركة في كتابة التاريخ المعاصر لمجتمعاتهم التي هي الهدف الاكبر لتشكيل الوعي والسيطرة عليه باعتبارهم من اقل الدول حيازة لمضامين الثورات الثلاث اولا ولأنهم الهدف الاقتصادي الكبير للدول المتحكمة في العالم المتقدم بمسيرة العولمة والمعلوماتية والانترنت

لقد كان البحث باسلوب وصفي ومنطق فكري فلسفي لذا لم تلعب الاحصائيات دورا كبيرا في استنتاجاته

وقد كان مكان البحث هو العالم كله لان الانترنت جعل العالم كله قرية صغيرة

كما كان زمن البحث هو ربع القرن الاخير ومدخل القرن الحادي والعشرين

فالزمن هو المعاصر والمكان هو العولمة .

1-مدخل أولي

لاشك ان عنوان هذا البحث يستغرق كل الثورة المعلوماتية وثورة تكنلوجيا المعلومات وثورة العولمة، ومن ثم أسر الوعي البشري المعاصر في اطار كل تلك المتغيرات، فالأنترنت كآلية من آليات تكنلوجيا المعلومات بما تعنيه من كمبيوتر وما يتبعه من استخدامات لآليات البحث على صفحات الانترنت، انما هو منظومة معلوماتية ايضا بما تعنيه هذه المنظومة من ثقافة وتجارة ومجتمع، كما ان العولمة كما يقودها الانترنت نفسه كمنظومة معلوماتية وأداتة سيطرة على وعي الشعوب ومحركات السلوك الفردي والجماعي، انما هي اخطر زلزال تقع فيه البشرية اليوم ولا سابق له في التاريخ .

اذن فالبحث يحتاج الى مساحة معرفية واسعة بكل هذه الآليات والتقنيات والمعلومات وانعكاسها على تشكيل الوعي الجماهيري المعاصر، وبالتالي فإن أي بحث يحاول ان يغطي كل هذه المفردات والمساحات من معلوماتية الى تقنيات الى اغراق الوعي الانساني وشبكته العصبية تقود بالتالي الى سلوك مبرمج عبر النظريات النفسية وصولا الى البرمجة الكاملة التي تسود جميع هذه المعطيات العلمية والتقنية، وكأنما هدف هذه الحضارة التي اطلق عليها البعض حضارة الحاسوب والانترنت هو اصطياد السلوك الانساني وتدجين الانسان ضمن سلوكيات تجارية واعلامية واجتماعية ونفسية محددة .

لهذا السبب فإننا لا يمكن ان نغطي البحث بكل تفاصيله ألا من خلال لغة حديثة تعتمد اللغة المركزة والتوصيف المختصر البليغ المعبر بأقل ما يمكن من الكلمات والجمل عن اعمق واكثر ما يمكن من الاسباب والنتائج ووجهات النظر.

ان اول عمل يمكن ان ندخل به هذا البحث الواسع هو التعريف بالمصطلحات التي سنستخدمها والتي قد تستغرق الاجابة على بعض تساؤلات البحث ،فمن يدخل هذا الوسط عليه ان يحدد معاني الانترنت، المعلومات ،الوعي ،والعولمة، وبدون تحديد هذه المعاني والمصطلحات لن نستطيع ان نبحر في هذا البحر الواسع من المعلومات وعصر العولمة وبرمجة السلوك عبر تشكيل الوعي.

2-الانترنت

آلية معلوماتية وتقنية اتصالية

لو حاولنا ان نستعرض كل التعريفات التي عرفت بها شبكة المعلومات الدولية –الانترنت- لاستغرق منا مساحة كبيرة تتجاوز قدرة هذا البحث ومساحته المتاحة ،علما ان لكل تعريف هدفا محددا حسب غاية المعرف، لذا فإننا سنقف على بعض التعريفات التي تخدم البحث، أي تعريفات ذات طابع معلوماتي اولا، وذات طابع تقني ثانيا، فماذا نجد لدى الباحثين في هذا المجال ؟

يعرف الخبير المعلوماتي الدكتور نبيل علي ظاهرة الانترنت كمنظومة من خلال المنظور الثقافي لها بقوله{الانترنت او شبكة الشبكات تحدث كثيرون –مفكرون واعلاميون وفنيون –عن الانترنت، ذلك الماموث الشبكي الكبير ،ذي الفضاء المعلوماتي المتناهي الضخامة الدائم الامتداد والانتشار، والذي يقدر عدد رواده بـ800 مليون نسمة بحلول عام 2004 ،انها تلك الغابة الكثيفة من مراكز تبادل المعلومات التي تختزن وتستقبل وتبث جميع انواع المعلومات في شتى فروع المعرفة، وفي جوانب الحياة كافة من قضايا الفلسفة وأمور العقيدة الى احداث الرياضة ومعاملات التجارة، ومن مؤسسات

غزو الفضاء وصناعة السلاح الى معارض الفن ونوادي تذوق الموسيقى، ومن الهندسة الوراثية الى الحرف اليدوية، ومن البريد الالكتروني الى البث الاعلامي، ومن المؤتمرات العلمية الى مقاهي الدردشة وحلقات السمر، ومن صفقات بورصة نيويورك الى مآسي المجاعات والأوبئة في أرجاء القارة السوداء)[1]

انها اذا تغطي كل مساحة المعرفة الانسانية، وإقامة علاقة بين الانسان وعالمه وأشياءه، أي انها بتعبير الدكتور نبيل علي اصبحت (نافذة الانسان، يواجه من خلالها العالم على اتساعه بحيويته المتدفقة وديناميات الهادرة، وإشكالياته المتجددة المتشابكة والمتراكمة، إن شبكة الشبكات هذه تعيد صياغة العلاقة بين الانسان وعالمه، بين الفرد ومجتمعه، بين ثقافة المجتمع وثقافات غيره ،لقد اصبحت الانترنت بكل المقاييس ساحة ثقافية ،ساخنة، ووسيطا اعلاميا جديدا، ومجالا للرأي العام مغايرا تماما لما سبقه)[2]

ولو استخدمنا صيغة التشبيه لتقريب بعضا من مفاهيم ومعاني الانترنت لقلنا انه حينما يدخل انسان الى مكتبة فيها ملايين الكتب فإذا اراد قراءتها لاستغرقته عمر البشرية كلها قبل ان يكمل قراءتها فكيف يستطيع التعرف على ما فيها من معلومات تعنيه ويحتاجها في حياته ووظيفته ومعيشته؟

هنا هي مكتبة المعلومات اللانهائية قياسا الى عمر الانسان، فهو لا يستطيع ان يستفيد من هذه المكتبة على غناها إلا بآلية الفهرسة

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص92-93

(2) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص94

المكتبية المعروفة ليعرف على الاقل مكان كل علم او معرفة او تخصص، ولكن حتى لو اختار التخصص ووجد مكانه فإنه سيجد آلاف الكتب فكيف يستطيع أن يتصفحها أو حتى على الأقل قراءة فهارسها ليحدد ما يريد منها، انه لا يستطيع ذلك لان هذه الطريقة عشوائية اضافة الى مساحتها الكبيرة، من هنا كان لابد ان يجد آلية تعرفه بسرعة فائقة على ما يريد استعراضه من مضامين هذه الكتب دون ان يمد يده لتصفحها وتقليب صفحاتها .

هذا التشبيه المقرب لعمل الانترنت والحاسوب الذي يشتغل عليه ومن ثم الخادم الذكي الذي يبحث له عن مفاتيح المعلومات والمعرفة التي يريدها من هذا الكم اللانهائي من الكتب .لقد فتحت الانترنت المكتبة امامك لتتصفح ما تريد منها بسعة خارقة قياسا الى التصفح اليدوي والقراءة الميكانيكية،

ولو حاولنا ان نستعين بالارقام لقياس كم المعرفة والمعلومات المتوفرة اليوم مقارنة بعمر الانسان القاريء لوجدنا الصورة اوضح حيث تقول الارقام مايلي { يقول علماء المعلوماتية عن انفجار المعارف وفيضانها –ان مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف اول مرة سنة 1750، ثم تضاعف سنة 1900 ،ثم تضاعف سنة 1950 ،ثم تضاعف سنة 1960 ،ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحى أسيا غير مسبوق في تاريخ البشرية، ومعنى هذا ان العالم قد انتج من المعلومات خلال الثلاثة عقود الأخيرة فقط ما لم ينتجه طيلة خمسة آلاف سنة، ومعناه ايضا أن قارئا قادرا على قراءة ألف كلمة في الدقيقة يقرأ لمدة ثماني ساعات يوميا، يحتاج الى شهر ونصف لقراءة انتاج يوم واحد، في الوقت الذي يجد نفسه قد تاخر خمس سنوات ونصف عن

مواكبة انتاج المعلومات)[1]

اذن كان على الانترنت ان يقدم خدمته عبر الانتقال من الباحث البشري الى الوكيل الآلي الذكي بعد ان اصبحت المعلومات اكبر من ان يحصيها احد انه الفيضان المعلوماتي الذي لايمكن لاي قدرة بشرية طبيعية ان تستوعبها الا ان الانترنت يقدمها سهلة مبرمجة تتناسب وعمر الانسان ومدى قراءته ﴿لقد فتحت الانترنت بوابات الفيضان المعلوماتي على مصاريعها، لتصبح مشكلة الافراط المعلوماتي من اخطر المشاكل التي نواجهها حاليا، وأصبح في حكم المؤكد استحالة التعويل على الوسائل البشرية وحدها لمسح الشبكة دوريا بحثا عن المعلومات المطلوبة، وكان لابد من أتمتة هذه العملية وذلك باللجوء الى ما يسمى بالروبوت المعرفي knowbot او البرمجي softbot بصفته وكيلا آليا يحال اليه القيام بهذه المهام الروتينية الشاقة، ان الروبوت المعرفي هو –شغال- الانترنت المطيع الدؤوب الدائم التجوال بين ارجاء الشبكة لتنفيذ المهام الموكلة اليه والوكيل الآلي ليس الروبوت الغشيم بل له نصيب من الذكاء الاصطناعي يمنحه القدرة على التحليل والاستنتاج والتوقع ،وله أيضا استقلالية في اتخاذ القرارات وفقا للسلطات المخولة اليه ،وإقامة الحوار مع زملاء عشيرته ليعملوا كفريق عمل متكامل اقرب ما يكون الى عمل مملكة النمل)[2] .

لقد عانى الباحثون كثيرا من عدم القدرة على فهم وفقه معنى الانترنت وهو يعمل على إيصال كم المعلومات الهائلة في سرعة ضوء

---

(1) في الثورة الاعلامية والمعلوماتية المعاصرة يحي اليحياوي عن الانترنت

(2) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص101-102

خارقة في برمجة ذكية، حتى ان احد الباحثين وضع عنوانا فرعيا لبحثه سماه تعريفات الانترنت العالمية اللغات السريعة قال فيه {لا تحصى تعريفات الانترنت وشروحها الكثيرة فهي تشكل مادة العصر وتطبعه لا تعود لاحد بل للعالم كله، توحد الجماعات وتفتح آفاق المعرفة وتنمي بساطة الحشرية ...وتفتح - النوافذ – مساحات اتصال واسعة كانت غير مباحة من قبل تجعل المرء لا يعرف اين يحط الرحال وقد ينسى من اين جاء قبلا ...انها الشبكة المتحررة من كل العوائق والقوانين والشروط اللغوية، انها مجانية وتدافع في المطلق عن حريات التعبير حتى الاتصال يتم بأسماء مستعارة اذا شئنا، وتصبح الانترنت بهذا المعنى الواجهة التجارية العالمية للاتصال بالخارج، وضعت حدا نهائيا لتاريخ المرسل في الاعلام وحتى لا يفرض فريق ثقافته واعلامه في وقت معين،

هكذا ينتهي تاريخ الازدواجية بين الانتاج والاستهلاك، ويتمكن أي فرد من تاسيس بنك معلومات خاص به يطرحه وفقا لمزاجه وأوقاته ومراميه، والانترنت هو السوق العالمية والثقافية الواسعة، ومكتبة العالم الخيالية وهو حاجة معاصرة وأهم تطور ثقافي منذ سيطرة الانسان على النار ...لكنها سيطرة مستجدة تقتل لغاتنا المألوفة الجميلة وفي الوقت نفسه تجذبنا نحو لغات ومفاهيم اتصالية .

كان من المستحيل ايجاد ابرة في قفة من التبن وسقطت الصورة مع الانترنت حيث يمكننا ان نجد ما نريد تحت نقرة الفأرة تأخذنا الى ملايين المفاتيح الجاهزة، كلمات تفتح نوافذ لا تنتهي من المعرفة، فالانترنت هي نهاية الجغرافيا والخلاص من محددات السجون التي طبعت الكرة والحدود، وهي غزو العقول وتكييف المنطق وتوجيه الجمال وصنع الاذواق وقولبة السلوك، وترسيخ قيم عالمية جديدة، وهي

التي تنقلنا من القبيلة الضيقة الى القبيلة البشرية الكبرى، وتمنحنا الثقافة السريعة، وتجعل بمتناولنا المعارض السريعة والفن والرسم والموسيقى، وهي الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون قيود، ويبدو انها التجسد الفعلي للقرية الاعلامية الالكترونية التي رددها الناس .. وانتظروا حلولها مثل الاحلام .

لقد باتت الانترنت من الوسائل الناجحة لتحقيق نزعات القوى الدولية نحو العالمية او الكونية، وأظهرت بصورة جلية اقتصاد عصر المعلومات التي لا تنقص خلافا للموارد المادية بل تزيد مع تزايد استهلاكها)[1]

لقد بدأ العصر يوصف بأنه عصر الانترنت للأثر الكبير الذي تركته هذه الشبكة على واقع الانسان اليوم وقد اعتبرها البعض اعظم ثورة بعد الثورة الصناعية حيث يقول احد الباحثين { يشهد العالم منذ ما يزيد على ربع قرن ثورة علمية وتكنولوجية فاقت في أهميتها وتأثيراتها ونتائجها ثورة القرن الثامن عشر الصناعية في اوربا، هذه الثورة كان الاعلام الالكتروني والاتصال والمعلوماتية من ابرز مظاهرها، فقد أكدت العديد من الدراسات ان شبكة المعلومات العالمية injernetion net wark هي أهم وأعظم ما أفرزته التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال tic والتي اسهمت في إحداث تأثير بالغ الأهمية في ظرف زمني قصير جدا لا في بيئة وسائل الاعلام والاتصال فحسب بل أيضا وبشكل جذري في جميع أنماط التعامل وأساليب التفكير والحياة، كما يؤكد ذلك محمد العمر .. الانترنت أوجدت

(1) الاعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص386-387

أنماطا لا للتواصل والعمل والتجارة فحسب، إنما نمط جديد للحياة يفرض تحدياته علىالانماط التقليدية التي ألفها الناس من قبل في كل شيء وأهم ذلك إمكانية الوصول الى بحر لاتعرف شواطؤه من المعلومات)[1] .

ويطلق الدكتور اجقو علي على الانترنت بانها ثورة ثقافية وليس مجرد ثورة تقنية حيث يرى ان من بين الاستخدامات التي برزت بشكل كبير منذ بداية ما يمكن تسميته عولمة الانترنت ما قامت به وسائل الاعلام المختلفة والتي استطاعت الاستفادة بدرجات متفاوتة من امكانيات الوسيلة التكنلوجية، ويقارن بين وسائل الاعلام الاخرى كالراديو والتلفاز يبرز تطور ونمو هذه الشبكة حيث يرى ان المذياع احتاج الى 83 سنة حتى اصبح لديه مليون مشترك، بينما احتاج التلفاز الى 51 سنة، في حين ان شبكة الانترنت لم تحتج سوى بضع سنوات ان لم نقل اربع لتخطي الحواجز .

ان العالم الثقافي والفكري والحضاري عموما الذي صنعته شبكة الانترنت اليوم يتجاوز المفردات البسيطة التي ينبيء عنها نقل المعلومات عبره الى حيث بدأ المجتمع كليا يتغير، فأصبح مجتمعا انترنيتيا اتصاله يقوم على الشبكة بدون حضور مادي او لقاء حسي بل نبضات كهربائية تنتقل بين الجانبين، بل ان فهم التراث نفسه تغير عبر هذه المعطيات الجديدة، انه عالم جديد ومغاير كليا للعالم قبل الانترنت

يقول احد الباحثين في هذا المعنى {اضحت المعلومات من اهم مقومات البنى التحتية لصناعة ثقافة الخطاب الصحفي بعد ان عصفت

---

(1) الصحافة الالكترونية العربية الواقع والآفاق ص2

تقنيات المعلومات ونسيج الانترنت بجل مفردات المنظومة المفاهيمية في عصرنا الراهن، فبجانب توفيرها لموارد الخطاب الصحفي بتجلياته الثقافية والسياسية والاجتماعية، فإن التقنيات الرقمية الجديدة وآليات الذكاء الاصطناعي قد احدثت تغييرا حاسما في طبيعة فهمنا للتراث والفكر بعد ان تحول النص الاحادي الى نص متشعب، واصبح الخطاب عرضة لسلسلة من عمليات المعالجة المحوسبة التي ينقر فيها داخل البناء اللغوي والدلالي للنص للوصول الى الانموذج الذي اسهم في توليد الافكار وأنشأ الصرح المفاهيمي للفكر، وقد تعمقت الوشائج التي تربط الموارد المعلوماتية بالادوات التقنية بعد ان اصبحت الافكار والثقافات عبارة عن نبضات رقمية محفوظة في وسائل خزن مغناطيسية ويتم تداولها بشكل حزم رقمية تسري عبر شبكات رقمية تلف كرتنا الارضية، فلم يعد للخطاب وجود دون ارضية رقمية تسري فيها النبضات الرقمية التي تترجمها الى نص مقروء او خطاب مرئي او مسموع)[1] .

ويحدد الكاتب مساهمة الفضاء المعلوماتي للانترنت بالفضاء الثقافي من خلال مجمعة العناصر التي يتألف منها والتي تشمل كما يقول:

- فضاء مفتوح للتجارة الالكترونية بوصفه موطن تسوق الكتروني لمختلف انواع السلع والخدمات المطروحة للاستهلاك
- وسط مجتمعي تتم من خلاله انشطة النقاشات والتواصل مع الآخر عبر حلقات الدردشة ومجاميع الاخبار والبريد الالكتروني
- بيئة ثقافية ومعرفية culture media يتم من خلاله تبادل المعلومات

(1) صحافة الانترنت في الوطن العربي ص1

والمعارف بشتى صورها وانواعها عبر الخطاب العلمي والثقافي في مواقعه الكثيرة

- بيئة سياسية مستحدثة تمارس من خلالها عمليات متباينة لترجمة الخطاب السياسي الى فعل معلوماتي يملك تأثيرا ملموسا على الجهة المناوئة

- بيئة تنظيمية مستحدثة لادارة وتنظيم الانشطة التقليدية عبر وسط معلوماتي يذلل الصعاب التي تشخص امام الفعل التنظيمي على ارض الواقع ويتجلى ذلك واضحا في تقنيات ادارة حركة الصناعة والتجارة والخدمات عبر الفضاء المعلوماتي وبعيدا عن الآليات القديمة التي تعاني من بطء ملحوظ

- بيئة لهو ملوثة قد شحنت بجميع انشطة الفسق والفجور التي توظف الخصائص الفريدة لحضارة الصورة وثقافتها لاشباع واستدراج الشهوات الانسانية وتضليلها واجتذاب الشباب وتوسيع دائرة العهر بحيث اصبح في متناول الجميع وبعيدا عن اعين رقابة المجتمع والتقاليد)[1]

ترى هل ان توفر المعلومات بسهولة لكل الناس هي مسألة سلبية ام ايجابية اذا كان الانترنت هو الوسط الناقل لها؟

لقد بشر بعض الباحثين بأن الانترنت سيحقق ديمقراطية في المجتمع الحديث بما لم يتوفر سابقا له وسيحقق عدالة اجتماعية من خلال هذه المعرفة المتاحة للجميع فيقول {الانترنت بإتاحتها المعلومات والمعرفة –اهم موارد التنمية- للجميع على حد سواء، ستوفر مناخا

(1) صحافة الانترنت في الوطن العربي ص3

افضل لتحقيق العدالة الاجتماعية، وتمنح فرصا متكافئة للتعليم والتعلم مما يضيق الهوة الفاصلة بين العالم النامي والعالم المتقدم، ويقلل الفوارق بين الفئات الاجتماعية المختلفة، وعلى النقيض من ذلك هناك من يؤكد ان الانترنت يزيد من حدة الاستقطاب الاجتماعي بين من يملك ومن لا يملك، وسيؤدي الى ظهور نخبة جديدة تجمع بين القوة المادية لرأس المال والقوة الرمزية المتمثلة في المعارف والمعلومات ان المعلومات عبر الانترنت في رأي هؤلاء لن تظل حرة طليقة مشاعة للجميع، وذلك بعد ان ادركت القوى الرأسمالية التقليدية المغزى الاقتصادي للموارد الرمزية، وهم مصممون على ان يحيلوا المعلومات والثقافة الى سلع تباع وتشترى وفقا لقانون العرض والطلب .

ان هناك من يزعم ان هذه التكنولوجيا المستحدثة ستحقق درجة غير مسبوقة من الشفافية –احد الشروط الاساسية لمارؤسة الديمقراطية- فهي تمثل وسيلة عملية لاطلاق حرية الانسان في ان يحصل في أي وقت وفي أي مكان على كل ما يحتاجه من معلومات، وأن يبعث في أي وقت والى أي مكان ما يتراءى له من أفكار وآراء، على النقيض من ذلك هناك من يؤكد انها تنطوي على تهديد حقيقي لخصوصية انسان اليوم، وقد باتت بياناتها الشخصية متاحة لاجهزة الرقابة والسيطرة عرضة لاستغلالها في كشف المستور وما تختلج به الصدور وتشفى به العقول، ان الحرية المطلقة الموعودة ما هي الا خداع، وقد بدأت الطبقية ذلك العدو اللدود للديمقراطية تتسلل الى شبكة الانترنت التي تحتوي حاليا على عدد من النوادي المعلوماتية خاص بالاعضاء فقط تقتصر عضويتها على نخبة متميزة من حملة بطاقات العضوية او من يعرف كلمة السر –الشفرة- التي تتيح له النفاذ إلى

بوابة المعلومات الراقية، فلا مكان هنا للحرافيش او المتسكعين في دروب هذا الماموث المعلوماتي)[1] .

ان هذا التأثير الكبير والخطير لشبة الانترنت على المجتمع خلق علوما جديدة متصلة بدور الاعلام والانترنت كوسيلة اعلامية في التأثير على الافراد والجماعات، من هذه العلوم ما يسمى علم اجتماع الاعلام، فالانترنت كوسيلة اتصال واعلام لم يقتصر على تطور قوة البث وقوة الاستقبال فقط، وإنما أدى الى ترك آثار واسعة على البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومن هنا تحول الى قضية هيمنة يقول احد الباحثين في هذا العلم { ان التقنيات الاتصالية الجديدة هي بمثابة الزلزال الذي هز ومن ثم خلخل المرتكزات الاساسية للبنية الاعلامية القديمة بصورة شاملة، بدءا من التقنيات المستخدمة ونمط العمليات الاعلامية والاساليب المستخدمة وانتهاء بوظائف الاعلام ذاته)[2] — ويؤكد على {ان التغير الذي طرأ على حجم عملية الاتصال والدور المناط بها يتصل مباشرة بعملية تدويل الانتاج والبث والتصدير وكلها ذات علاقة باستخدام انماط جديدة لممارسة الهيمنة السياسية، لهذا ان وظائف الاعلام ووسائله تبدو مختلفة عما سبق، وترتكز بصورة اساسية على تهيئة الاجواء والقناعات وبلورة مشاعر مستهلكي المادة الاعلامية بأنهم ينتمون الى بيئة سياسية دولية او البيئات المعرضة لمثل هذه الحملات في مقاومة التسلط والدفاع عن حقوق الانسان المقهور اجتماعيا في تبني ثقافته وسياسيا في ضمان حريته ووطنيا في ضمان استقلاليته)

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص4-5

(2) علم اجتماع الاعلام ص125

ان ثورة الاتصال التي احدثتها الانترنت غدت اليوم من أهم الوسائل التي تستعملها القوى السياسية المستنيرة لتحرير الشعوب من الاستبداد والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي **حيث وفرت الانترنت امكانات كبيرة على كافة المستويات وخاصة السياسية والاعلامية ويمكن اجمال بعضها بما يلي :**

1- تسهيل الحصول على المعلومات وهي لا تزال طرية من مصادرها المباشرة، فبمجرد نقرة على شاشة الكمبيوتر ينتقل القاريء من موقع الى موقع أينما أراد على وجه الارض، ويقرأ أي موضوع يشاء بأي لغة يفهم دون مصادرة او قيود

2- تسهيل إيصال المعلومات الى الجمهور دون تحكم من الحكام المستبدين او رجال المال المحتكرين لملكية وسائل العلام، وتوفير المعلومات الصحيحة هو اول خطوات التغيير، وقد كان احتكار اهل السلطة والثروة للمعلومات في الماضي من اهم الوسائل التي يحتمون بها

3- التمكن من ايصال الرسالة الاعلامية بالشكل الذي يريده المرسل دون تدخل موجه من اباطرة الاعلام الذين اعتادو التصرف في المعلومات التي تصلهم وصياغتها واخراجها بالطريقة التي تخدمهم على حساب المرسل الاصلي ورسالته بل يقدمون الرسالة بصورة تخدم نقيض ما اراد مرسلها

4- رخص ثمن الاتصالات بل ومجانيتها في اغلب الاحوال مما يجعلها متاحة للجميع ولا مجال لاحتكارها من طرف الحكومات القمعية او الشركات الاحتكارية ومن فوائد رخص ثمن الاتصالات اشراك عامة الناس في المعلومات، وتلك هي الخطوة الاولى لاتخاذ

الموقف السياسي الرشيد .

5- ورغم ان الحكام الدكتاتوريين يميلون الى التضييق على تكنلوجيا الاتصال الحديثة مثل الانترنت خوفا من انفلات الامور من قبضاتهم، فقد بدأ الاعلام الالكتروني يقضي على اعلام الورق –الصحف- وبدأ يضايق اعلام الصورة –التلفزيون- وهو مرشح للسيادة في المستقبل بسبب الميزات العديدة التي يمتاز بها على الاعلام التقليدي

أما ميزات الاعلام الانترنيتي على الاعلام التقليدي فيمكن اجمال بعضها فيما يلي :

1- ان الاعلام الالكتروني يعطي القاريء فرصة اطلاع اكبر من الناحية الكمية، ففي جلسة واحدة يستطيع القاريء ان يطلع على عشرات المصادر الاعلامية من جميع ارجاء العالم ودون تكلفة مادية تذكر، وهو أمر غير ممكن عمليا من حيث الوقت ومن حيث الكلفة في التعامل مع الاعلام التقليدي .

2- انه يعطي القاريء حرية الانتقاء والمقارنة من خلال الاطلاع السريع على العديد من المصادر المختلفة الرؤى والخلفيات واستخلاص النتيجة التي يراها اقرب الى الحقيقة دون ان يظل اسيرا لرؤية مخصوصة ولا تخفى قيمة ذلك في تحرير ارادة المتلقي في تعاطيه مع الوسيلة الاعلامية.

3- انه يمكن من القراءة المتخصصة، فلم يعد من اللازم استنزاف الوقت والجهد في تصفح الصحف بحثا عن موضوع معين او انتظار برنامج مخصوص في احدى القنوات التلفزيونية، بل اصبح الانترنت

بوسائل البحث في مادته يمكنك من الاطلاع على الموضوع الذي تريد في الوقت الذي تريد .

4- انه يوصل الرسالة الاعلامية الى مدى عالمي ويتجاوز القيود التقليدية التي تقيد التلفزيون والصحافة المطبوعة فهذه تحدها حدود المكان فلا يتجاوز بعضها مساحة معينة من البسيطة كما تحدها حدود المكان فلا يستطيع الجميع الوصول اليها لانها غير مجانية بخلاف الانترنت فلا تحده حدود المكان وهو مجاني او شبه مجاني في العادة .

ان المتتبع لثورة الاتصال والاعلام في عصر المعلومات، يدرك ان الاعلام اصبح محوريا لا بسبب التقنيات التي استخدمها فقط، وانما بسبب طبيعة الرسالة الاعلامية عبر هذه التقنيات، يقول الدكتور نبيل علي تحت عنوان محورية الاعلام والاتصال { لقد ظن البعض خطأ ان اعلام عصر المعلومات ما هو الا مجرد طغيان الوسيط الالكتروني على باقي وسائط الاتصال الاخرى، لكنه في حقيقة الامر اخطر من ذلك بكثير، فالاهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفق خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها، لقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية في دور الاعلام جعلت منه محورا اساسيا في منظومة المجتمع ،فهو اليوم محور اقتصاد الكبار وشرط اساسي لتنمية الصغار، لقد ساد الاعلام ووسائله الالكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز للبعض ان يطلق عليها ثقافة الميديا، وثقافة التكنولوجيا، وثقافة الوسائط المتعددة)[1] .

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص344

لقد سيطرت الانترنت على كل وسائل الاعلام وتضمنتها، وقد كان العامل التقني من العوامل الاساسية لثورة الاعلام والاتصال بجانب العامل الاقتصادي وعولمته والعامل السياسي المتمثل في الاستخدام المتزايد لوسائل الاعلام، يقول نبيل علي بان وراء ثورة الاعلام والاتصال عوامل تقنية واقتصادية وسياسية، وان العامل التقني المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر، عتاده وبرمجياته، وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالاقمار الصناعية وشبكات الالياف الضوئية، لقد اندمجت هذه العناصر التكنلوجية في توليفات اتصالية عدة الى ان افرزت شبكة الانترنت التي تشكل حاليا -كما يقول علي- لكي تصبح وسيطا اعلاميا يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الاخرى المطبوعة والمسموعة والمرئية ،وكذلك الجماهيرية وشبه الجماهيرية والشخصية، لقد انعكس اثر هذه التطورات التكنلوجية على جميع قنوات الاعلام، صحافة واذاعة وتلفاز، وانعكس ذلك -وهو الاخطر- على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الاعلامية وموزعها ومتلقيها، لقد انكمش العالم مكانا وزمانا وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب وكادت تكنولوجيا الواقع الخائلي ان تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي، وبين الحاضر والغائب، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي، والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات .

ولاشك ان محورية الاعلام والاتصال هو الذي قاد الى ان تأخذ شبكة الانترنت سلطة خاصة تتجاوز سلطات الاتصال والاعلام الاخرى، فإذا كان الاعلام سلطة رابعة فإن الانترنت اليوم تتجاوز قدراته مجموع قدرات وسلطات المسموع والمنظور،

لقد كانت سلطة الصحافة –السلطة الرابعة- باعتبارها وسيلة اعلامية من اوضح السلطات عبر الممارسات الانسانية التي عايشتها، لقد وصلت سلطة الصحافة كما عبر عنها نابليون بونابرت الذي كانت تخيفه الصحافة بقوله –ان مقالة صحافية تساوي جيشا من 300 الف رجل ، ،وهؤلاء لا يراقبون الداخل ولا يخيفون الخارج افضل من دزينتين من حثالات الصحفيين- .

كذلك كان للراديو سلطة وللتلفزيون سلطة الصورة وصولا الى سلطة الحاسوب، لقد جمعت الانترنت هذه السلطات كلها فيها مما اعطاها قدرة وسيطرة تامة وهو ما تحدث عنه احد الكتاب تحت عنوان سلطات الانترنت بعد ان استعرض السلطات الاعلامية السابقة {قد تكون الانترنت او شبكة الشبكات هي التي تساعد اليوم في ردم الهوة بين الانسان والتقنيات ، إذ خطا بواسطتها خطى سريعة تفوق بكثير الاستطالات القديمة التي جعلت رجليه وسمعه ونظره ولسانه وصوته تتمثل في العجلة والهاتف والشاشة، وما اختراع الحاسوب الا استجابة لتقديس قدرة الانسان الذي جعله على صورته محاولا ان يجمع هذه الاستطالات الى مخ صناعي وذاكرة صناعية وشبة اعصاب صناعية زودها باطراف كهربائية وميكانيكية وعيون واذان الكترونية وعلمها الحركة والكتابة والقراءة ومنحها لغته ووضع في برامجها عصارة فكره وتجاربه، واستأنس برفقتها في مصنعه ومتجره ومكتبه وقاعة درسه وغرف معيشته، وبهذا اصبحت ذاكرة الانسان مستودعا او وعاء وحواسه هوائيات، ولغته اشارات، ونبضاته وفكره مواد قابلة للتعليب من خلال اساليب الذكاء الاصطناعي، وان استشراء المجاز في اسقاط الحواجز بين الانسان والآلة على الرغم من الاقرار بصعوبة ارتقائها الى

مستواه، يدخل شبكة الشبكات الى المستوى الذي تبدو فيه ممثلة لأقصى تجليات الاتصال الاصطناعي الذي هو في رأينا عدم الاتصال، تساعد الانترنت في تثبيت مركزية الاعلام فتندمج الالياف الضوئية والكابلات الارضية والبحرية واشعة الماكرويف ودوائر الاقمار الصناعية الى درجة توصل معها الى التخوف من حدوث أزمة مرور للاقمار الصناعية التي تتزاحم في ارتفاعها الثابت بالنسبة الى الارض وبصورة تهدد بتداخلات موجات ارسالها)[1] .

ان مراجعة بسيطة لسلطة الاعلام التقليدي اليوم وفي ظل العولمة يعطينا صورة عن سلطة الانترنت التي اصبحت بديلا لكل الوسائل الاعلامية وجامعا ومضمنا لها ، يقول احد الكتاب عن سلطة الاعلام التقليدي او ما يتبقى منها في ظل العولمة { اذا كان الاعلام يشكل اليوم مادة اساسية في تطوير الحياة وتنمية المجتمعات بالاتجاه الذي يؤدي الى زيادة المعارف وتوسيعها ونقلها وحل المشكلات الجوهرية لسكان العالم، فإنه اصبح في عصر العولمة وفي ظل التقدم العلمي والتقني سلطة قوية للتأثير في الرأي العام، وأداة خطيرة للدعاية والحرب النفسية بقصد الغزو والسيطرة وغسل العقول في عالم متغير يتميز بالقطبية الواحدة وسيطرة الاحتكارات الدولية على ميادين الحياة، وخاصة المجال الاقتصادي والاعلامي، ان الاتصال الدولي لم يعد يعني نقل المعلومات والاخبار، وانما تعداه الى خلق فهم جديد للعملية الاعلامية التي تتحكم بها طرائق ومعارف ومناهج العلوم الحديثة وهو ما يفسر استثمار الغرب لتكنولوجيا الاعلام والاتصال في تحقيق اهداف استراتيجية يراد منها الهيمنة السياسية والفكرية، وتفتيت الدول

---

(1) الاعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص383

وشعوبها ضمانا لوجودها المستمر فكريا وسياسيا ونفسيا وثقافيا في هذه الدول ،والاخطر في عالم اليوم هو ان ميدان الاعلام وتكنلوجيا الاتصال يشهد ثورة كبيرة في ادواته واساليبه ومضاميته بحيث لم يعد هناك مفهوم واضح لما يسمى –السيادة الوطنية او جغرافيا المكان، ولم يعد العالم –قرية صغيرة- كما عبر احد علماء الاتصال في الغرب وانما اصبح العالم –غرفة صغيرة- يعيش فيها مليارات البشر تحت سلطة الكلمة والصورة، ويتحكم فيها الاقوى والاغنى والافضل عدة، وقد تسبب الوضع الدولي الراهن في خلق –الفجوة الاعلامية – ما بين الشمال والجنوب، وحرم الجنوب –العالم الثالث- الكثير من الامتيازات التي تحققها التكنولوجيا المتطورة في مجال الاعلام والاتصال، وجعلها في كثيرمن الاحيان غير قادرة على الحفاظ على استقلالها السياسي وامنها الثقافي بسبب التفوق التكنولوجي للغرب وهيمنة المؤسسات الاعلامية الدولية على سير المعلومات وتدفق الاخبار)[1] .

3- المعلومات والمعلوماتية

قبل الانترنت وبعده

لاشك ان المعرفة والمعلومات هي قوة كبيرة بيد السلطة وبيد معارضي السلطة على السواء، فإذا وظفت هذه المعلومات عبر اعلام الدولة اعطاها قدرة تاثير كبيرة على المحكومين، وإذا وظفها المحكومون في اعلامهم عبر الانترنت وغيره فسيكون لها قوة معارضة كبيرة، لقد تحدث الرئيس الامريكي كلنتون في عدد مارس –ابريل

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص11-12

لسنة 1996 لمجلة فرين أفيرز قائلا : المعرفة هي اكثر من أي وقت مضى سلطة، فالدولة التي ستتزعم ثورة الاعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة، هذه السلطة اللامادية ستمكننا من التحكم في العلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة، بالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة.

وقد أكد الرئيس كارتر قبله ان امريكا ليست دولة استعمارية ولا تريد اراضي اخرى، انها تريد اقتراح نمط تفكير.

وقد أكد آل جور نائب الرئيس الامريكي هذا المعنى حينما نادى بإقامة بنية اساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء اغنياء العالم وفقراؤه ثم قال –دعونا نتجاوز الايدلوجيا ،لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر وتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية)[1].

لقد صدرت عدة دعوات من كثيرين يذهبون الى ان شبكة الانترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة باسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية، وان تزايد استخدام الانترنت كوسيط اعلامي جعلها في مقدمة القوى المسيطرة في عالم العولمة الجديد، ويظهر ذلك من خلال انها فرضت نفسها اعلاميا، فهي بجانب كونها شبكة الشبكات فهي بالقدر ذاته –وسيط الوسائط – الاتصالية بلا منازع، وتتجلى عظمة هذا الوسيط الاعلامي في قدرته على احتواء الوسائط الاخرى كمصادر للمحتوى بالنسبة له وفي هذا الصدد يقول نبيل علي { وبينما كانت عظمة التلفزيون في احتوائه

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص24

الراديو، تقوم عظمة الانترنت على احتوائها الصحافة والاذاعة والتلفزيون والبحث عن المعلومات ،ولا يستقيم اليوم حديث في شان الاعلام والاتصال دون تناول القضايا العديدة التي تطرحها الانترنت كوسيط اعلامي)[1] .

ان مراجعة دور المعلومات في تغيير المجتمعات قبل ظهور الانترنت يعطينا صورة اوضح عن دورها بعد ثورة المعلومات والمعلوماتية .فمن البديهي القول ان المعلومات تغير كثيرا في المجتمعات والدول الى حد يمكن معه القول انها تعيد صياغتها، فقد أدت الوفرة الهائلة في المعلومات وانتاجها واستهلاكها وسهولة الاتصالات الى تداخل المجتمعات وزيادة تأثيرها على بعضها البعض، وتجري الآن دراسات حول التصويت الالكتروني ومسح الرأي العام عبر الانترنت، فإذا اضيف الى ذلك عمليات الحوار والاتصال عبر الانترنت وشبكات الاتصال فإن الديمقراطية في العالم تدخل في مرحلة جديدة قائمة على الانتشار ومزيد من الرسوخ والتغلغل في حياة الناس وقراراتهم.

في عام 1981 عين في الحكومة البريطانية وزير لتقنية المعلومات وفي ذلك العام قال اللورد دنيون الرئيس السابق للمجلس الاستشاري للمعلومات العلمية –ان لثورة المعلومات نتائج في مجال العمل والحياة تقدم فرصا افضل وتهددنا بعواقب وخيمة اذا اخطأنا الاختيار.

في تأثير المعلومات في المجتمع كتب مايكل هيل [2] كتابا جاء فيه بان المعلومات خليط من المواد الخام التي يمكن تحويلها الى منتجات

---

(1) ن م ص371

(2) اثر المعلومات في المجتمع –مايكل هيل –نشر مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – عرض ابراهيم غرايبة على الانترنت في موقع الجزيرة نت

جديدة تماما كما يحول الحديد والقطن الخام الى منتجات جديدة، وسوف تجعل المعلومات البعض اكثر ثراء، وتحسن الحياة بالنسبة لكثيرين كما انها سوف تزيد من مشكلات الكثيرين وتجعل البعض افقر حالا، وفي اشارة الى النزاعات الصناعية كتب الامين العام للامم المتحدة كوفي عنان : لقد كانت واحدة من حالات سوء التقدير التي وقع فيها عددا عصرنا من المتعلمين تتلخص في انهم تصوروا ان مجرد تخيل المشكلة والوصول الى استنتاجات يحل المشكلة، ان المشكلات التي سوف يقودنا اليها محتوى نظم المعلومات تحتاج الى البحث وتقديم النتائج كمعلومات يمكن ان نستعملها ويستعملها السياسيون والعاملون في حقل التعليم وكل انواع المهنيين لابتداع الحلول المناسبة وتنفيذها .

يقول المؤلف :ان المعلومات فئة من المفاهيم تستوعبها عقولنا ونسجلها عن وعي ومن شأنها تعديل حالتنا المعرفية، وعندما نتلقى المعلومات فإنها قد تكون تكرارا او تأكيدا لمعلومات لدينا بالفعل، كما يمكن ان تكون اضافة على ما نعرفه بالفعل عن احد الموضوعات بالاضافة الى انها يمكن ان تكون تصحيحا او تعديلا لمعرفتنا القائمة بالفعل عن احد الموضوعات او فتحا لمجال معرفة جديدة.

ويفرق المؤلف بين المعرفة والمعلومة وانهما ليسا مترادفتين ،إذ ان المعرفة في جوهرها أمر شخصي ومن عناصرها الاساسية الفهم والعلاقة بالقيم، وهي تتكون وتزداد بالفكر وباكتساب المعلومات وباعمال العقل لتقييم نوعية هذه المعلومات الجديدة واستخدامها وعواقبها على ضوء المعرفة الموجودة لدى المرء.

ويتعرض المؤلف الى اخلاقيات المعرفة فيؤكد انه بالنسبة الى المجتمع البشري تعتبر مراجعة المباديء الاخلاقية مرارا وتكرارا أمرا

مهما ، فالمعلومات واستخدامه موضوعات مهمة كمبحث مستقل من زاوية الباخلاقيات لجوانب أخرى من الحياة ، اذ تترتب عليها حقوق ومسؤوليات كثيرة وقضايا اجتماعية واقتصادية تتمثل في حق السعي لتحصيل المعلومات وحق الدراسة والقيام بالبحث وحق المعرفة وحرية المعلومات وحرية الاعلام وحق تلقي المعلومات وحدود الرقابة وحق توصيل المعلومات للغير والواجبات والمسؤوليات واخلاقيات المهنة وحق المساواة والفجوة بين ثراء المعلومات وضعفها ، ةوالحق في عدم البوح بالمعلومات ، والحق في الخصوصية وحماية البيانات وحقوق الملكية وحقوق التأليف والطبع .

وبالنسبة للنشر الالكتروني فقد اشار المؤلف الى انه قد ادى الى ظهور عدد من المشكلات الاضافية التي يتم حلها بالتدريج ، فهناك نوعان من البيانات فاذا حكم على قاعدة البيانات بانها ابداع فكري سوف تتمتع بمقتضى قانون الاتحاد الاوربي واتفاقية المنظمة العالمية للملكية الفكرية الخاصة بحقوق النشر بالحماية العادية كعمل ادبي ، أما اذا كانت قاعدة البيانات مجرد تجميع لكنه انطوى ابتداعه على بذل مجهود كبير في الحصول على المحتويات وفحصها وترتيبها فانها تعطي حماية لمدة 15 عاما من تاريخ ابتداعها ضد اخذ مقتطفات منها .

أما عن علاقة المعلومات بالسياسة والحكم فيرى المؤلف ان هناك اربعة مجالات رئيسية مشتركة بين الحكومة والمعلومات وهي الامن والتشريع والادارة وخدمة المواطنين والجمهور وتوعيتهم وتبادل المعلومات وبثها عبر الاقطار لاغراض الاعلام والتجارة او في جهات واغراض قانونية مشروعة ، لكن الحكومات اليوم في عصر المعرفة تطور ادارة المعلومات لتقديم وتطوير خدمات التعليم والصحة والضمان

والتوظيف وانجاز المعاملات، وقد اوضحت الحكومة البريطانية عام 1994 ان دورها في تسهيل الاتصالات وتطويرها يقع في تأسيس الاطار التنظيمي وتشجيع المنافسة ودعم البحوث وتحديد التاثير على الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والرقابة على المواصفات والخدمات وتجري الحكومات الغربية اليوم ربطا للمكتبات والمدارس والجامعات والمؤسسات في شبكات تسهل تبادل الخدمات والمعلومات وتقلل التكرار والازدواجية .

لقد كانت هذه المعطيات للمعلومات قبل استخدام ثورة تكنولوجيا الاتصال والانترنت، بما يعنيه من سعة كبيرة للمعلومات والمعلوماتية،

ان هناك من تحدث عن السمات المركزية التي لابد من استحضارها لفهم التحولات العميقة التي يعيشها قطاع الاعلام والمعلومات والاتصال منذ ثلاثة او اربع عقود من الزمن حيث يقول فيها:[1]

السمة الاولى: وتتمثل في غزو المعلومات بكل ضروب حياة الافراد والجماعات وبروز صناعة المعلومات باعتبارها المحرك القوي الجديد للاقتصاديات والمجتمعات، فجل الاقتصاديات والمجتمعات المعاصرة حتى تلك التي كانت منظومتها الفكرية تعتبر المعلومات نشاطا غير منتج قد غيرت من نظرتها للامور، وإلا فما معنى تخصيص كل من فدرالية روسيا والصين لملايين الدولارات لتجديد وبناء قاعدة اعلامية واتصالاتية في افق القرن الحادي والعشرين، قرن العلم والمعرفة

---

1 –في الثورة الاعلامية والمعلوماتية المعاصرة يحي اليحياوي –عن الانترنت

واقتصاد الاعلام كما يقال، وهناك فضلا عن هذا مجموعة معطيات احصائية تبين انفجار صناعة الاعلام والاتصال والمعلومات وغزوها لمجمل حياة الافراد والجماعات .

المعطى الاول : ومفاده ان سوق صناعة الاعلام والاتصال – الكترونيات جاهزة، معلوميات، اتصالات ،وسائل اعلام وترفيه ، - ستبلغ نهاية هذا القرن –القرن العشرون- حوالي 15000مليار فرنك فرنسي ،أي ما يناهز 10٪ الى 12٪ من الاقتصاد العالمي 2900 منها للاتصالات 1500 للسمعي –البصري،و2600 للمعلوميات، وتفيد الاحصائيات الى جانب هذا ان هناك حوالي مليار و260 مليون جهاز تلفاز في العالم، وهناك حوالي 700مليون مشترك في الهاتف 80 منهابالهاتف الخلوي، وهناك 200مليون حاسوب شخصي 30 منها مرتبطة بشبكة الانترنت، وسيكون نهاية هذا القرن حوالي 650 مليون الى مليار مستخدم بشبكة الانترنت يتصفحون مئات الالوف من مواقع الويب او ما يسمى شبكة العنكبوت .

المعطى الثاني: وفحواه انه اذا كان المواطن الامريكي مثلا قد خصص سنة 1980 حوالي 20٪ من ميزانيته للمأكل و10٪ للاعلام والاتصال –تلفزة، هاتف، ....الخ، فإن هذه النسبة قد نزلت بعد 15 سنة من 20٪ الى 16٪، وارتفعت الى 13٪ عوض ال10٪

المعطى الثالث :المبين لتسارع هذه التحولات يرتبط اساسا بانفجار المعارف، إذ يقدر العلماء ان مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف اول مرة سنة1750 ثم سنة 1900 ثم سنة 1960 ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحا أسيا غير مسبوق في تاريخ البشرية ...ومعنى هذا ان العالم قد انتج من المعلومات خلال ثلاثة عقود

اخيرة ما لم ينتجه طيلة 5000 سنةالماضية، ومعناه ايضا ان قارئأقادرا على قراءة 1000 كلمة في الدقيقة لمدة ثماني ساعات يوميا يحتاج الى شهر ونصف لقراءة انتاج يوم واحد في الوقت الذي يجد نفسه قد تأخر خمس سنوات ونصف عن مواكبة انتاج المعلومات .

السمة الثانية: وتكمن في تزايد المعلومات في تكوين السلع والخدمات لدرجة اصبحت معها المعلومات تكلفة الانتاج الاولى مقارنة باليد العاملة مثلا او المواد الاولية .

مثالان اثنان يدللان على ذلك ؛ المثال الاول : كل عشر سنوات تنخفض تكاليف الحواسيب بنسبة 50٪ مع احتفاضها بنفس القوة – قانون جويس- وكل ثمانية عشر شهرا تتضاعف قوة هذه الحواسيب بالسعر القار، بمعنى ان ما كان يكلف خمسة ملايين دولار في المعلوميات، لم يعد يكلف اليوم اكثر من 5000 او 500او50وهكذا ، ومعناه أيضا ان البرمجيات اصبحت مهمة مقارنة بالاجهزة والخدمات واللوجستيات، والبرامج أهم من المواد الاولية ، ومعناه كذلك انه في اليابان مثلا من اجل انتاج نفس الكمية من السلع انخفضت مساهمة المواد الاولية بنسبة 60٪ ما بين عامي 1973و1984 ومعناه فضلا عن ذلك ان ما كنا نحتاجه من مواد اولية لانتاج سلعة معينة قد انخفض بنسبة 60٪ خلال عشر سنوات لانتاج نفس السلعة .

المثال الثاني : قرص محوري- س د روم- بإمكانه احتواء حوالي 250000 صفحة نص او في ميدان الاتصالات زوج من كوابل الالياف البصرية رقيق رقة الشعيرة بإمكانه ان يمرر عدد مكالمات هاتفية يوازي ما تمكنه اطنان الكوابل النحاسية ، على ان هذه الالياف تنتج في المختبرات بواسطة الرمال، ولا غرض للشركات المنتجة لها في

البحث عن اسواق النحاس مثلا او غيرها ،ومعنى هذا ان هناك توجها باتجاه لامادية الاقتصاديات وزيادة الاعتماد على المادة الرمادية في انتاج السلع والخدمات .

السمة الثالثة: وتتمثل اساسا في ازدياد قيمة وحجم البحث والتطوير ضمن هذه الصناعات والخدمات المعلوماتية، فعلى الرغم من شكاوى التقشف المتزايدة بالدول الصناعية الكبرى فان المنافسة لم تعد تتكرس بالاسواق ، - وان كان ذلك صحيحا في تمظهراتها –قدر ما اصبحت تتم في المختبرات ومراكز التطوير والتجديد، فعلى الرغم من ان مشروعا –من اصل عشرة مشاريع هي التي تخرج من مختبرات البحث والتطوير بقطاع الاتصالات فإن هذا الأخير لا يتوانى في تخصيص من 4٪الى 5٪ من مبيعاته لميزانيات البحث والتطوير والتجديد، وهذا ما يفسر الى حد بعيد سياسات التحالفات الاستراتيجية والضم بين كبار قطاع الاعلام والاتصال والمعلومات بوجه خاص .

السمة الرابعة: وتكمن في الطابع الشبكي الذي يميز القطاعات الثلاثة التي تكون قطاع الاعلام والاتصال –السمعي – البصري –المعلوميات- والقيمة المضافة التي تعطيها الشبكة لهذه القطاعات ،إذ في عقلانية تصميم وطريقة تسيير وأنماط توظيف هذه الشبكات تكمن مصادر القيمة المضافة لا في وجود هذه الشبكات في انغلاقها او استقلاليتها، القيمة المضافة تأتي من الترابطات التي تميز الشبكات، فعبر تداخل المعلوميات بالاتصالات توفر هذه الاخيرة خدمات جديدة، وعبر اعتماد البرامج المتعددة الاقطاب يصبح بالامكان الزيادة في اقتصاديات السلم وهكذا .

السمة الخامسة : يمكن ملامستها عبر زيادة نسبة اليد العاملة النشيطة بقطاعي الاعلام والاتصال ضمن السكان النشيطين الاجماليين –تقدر الدراسات ان نسبة المشتغلين بقطاع الاعمال والتصال سنة 2000 ستتجاوز ال65٪ مقابل 50٪ الى 55٪ حاليا سنة 1998- مقابل 2٪فقط للزراعة والصناعات الاستخراجية و22٪ للصناعات التحويلية و10٪ لخدمات أخرى ،هذه السمة تدل بعمق لا عن طبيعة الاقتصاديات الحالية فحسب بل ايضا عن طبيعة اقتصاديات القرن المقبل –الحادي والعشرين- ، وايضا عن طبيعة التكوين والاستثمار فضلا عن ابرازها ملامح البطالة القادمة .

السمة السادسة: وتتمثل في مدى تأثير هذه التحولات الاعلامية والمعلوماتية والاتصالية على انماط التنظيمات والتسييرات والتوظيفات المكرسة طيلة عهود ما قبل عصر المعلومات ، فهناك الانتقال من الانماط الهرمية السائدة في التنظيم الى سيادة اللامركزية وسيادة تعدد مراكز اتخاذ القرار مع زيادة قيمة العمل الوحداتي التشاركي، ثم هناك الانتقال من نظم الرقابة والضبط المركزية الى انماط رقابة ذاتية تكون المسؤولية فيها من نصيب الجماعة مع سيادة قيمة النجاح لدى الجميع، وهناك اعتماد قيم المرونة والحركية عوض الاعتماد على النظم الجامدة والهياكل الثابتة والمستقرة، وهناك أخيرا اعتماد المعلومات كمصدر استراتيجي في العملية الانتاجية عوض اعتبارها بيانات وصفية جامدة وبيانات تاريخية محددة الاهداف محصورة في الزمن .

هذه هي السمات الكبرى التي نظنها مميزة لعصر التحولات الاعلاميةالجارية خارجها حتى وأن كانت في تسارع يصعب الامساك بميكانزماتها وأبعادها.

4-الانترنت وشيء من السياسة

ليست السياسة غريبة على الانترنت ومعلوماتها، فقد كانت فكرتها الاولى تستند الى توظيف عسكري اساسا، وهو قوة العنف السياسي، فمما يقال عن نشأة فكرة وجود شبكة الانترنت انه [1] في عام 1960 قدمت الحكومة الامريكية الى شركة راندو كوربوريشن طلبا يتعلق ببناء وانشاء نظام اتصال متطور من شأنه ان يقوم بضمان ربط القواعد العسكرية عبر العالم فيما بينها وقت السلم، وايضا في حالة هجوم نووي تشنه قوة معادية، في هذا النظام تقوم مجموعة الكبيوترات بالاتصال ببعضها بواسطة لغة مشتركة تسمى TCP-IP.

ثم بدا علماء من جامعة كاليفورنيا في اكتوبر عام 1969 تجربة علمية هدفها ربط جهاز كمبيوتر في مدينة لوس انجلس بكمبيوتر آخر في مدينة منلوبارك بخط هاتفي بحيث يستطيع الجهازان العمل معا في شكل نظام اتصال مغلق، وبدءأ من عام 1972 تم التفكير في تمويل مشروع جديد من اجل ربط مصالح وزارة الدفاع مع المتعاملين معه وحوالي عشرين جامعة تعمل على ابحاث ممولة من نفس الوزارة واطلق على هذا المشروع اسم أربا.

ولم يعد استخدام شبكة اربانيت مقتصرا على مصالح البنتاغون بل استخدمت من قبل الجامعات الامريكية بكثافة الى حد انها بدأت تعاني من ازدحام يفوق طاقتها، وصار من الضروري انشاء شبكة جديدة، لهذا ظهرت شبكة جديدة في عام 1983 سميت باسم ميل نت لتخدم المواقع العسكرية فقط، واصبحت بذلك شبكة اربانت تتولى امر الاتصالات غير العسكرية مع بقائها موصولة مع ميل نت من

---

(1) الصحافة الالكترونية العربية -الواقع والآفاق د اجقو علي

خلال برنامج اسمه بروتوكول انترنت الذي اصبح فيما بعد المعيار الاساسي في شبكات الانترنت .

وبعد ظهور نظام التشغيل المسمى يونيكس الذي اشتمل على البرمجيات اللازمة للاتصال مع الشبكة وانتشار استخدامه في اجهزة المستفيدين اصبحت الشبكة مرة اخرى تعاني من الحمل الزائد ، مما أدى الى تحويل شبكة اربانت في عام 1984 الى مؤسسة العلوم الوطنية الامريكية التي قامت بدورها وبالتحديد في عام 1968 بعمل شبكة اخرى اسمتها أنسف نت وقد عملت هذه الشبكة لغاية عام 1990 الذي شهد فصل شبكة اربانت عن الخدمة مع بقاء شبكة انسف نت جزءا مركزيا من شبكة الانترنت .

اذن فأساس فكرة الانترنت كشبكة كانت لأهداف عسكرية ثم تحولت الى ابحاث علمية لخدمة الاهداف العسكرية ثم هي شبكة معلومات دولية لكل شيء عنوانا للعولمة في هذا العصر ، عولمة الاعلام والاقتصاد والسياسة فكيف نفهم شيء من وظائفها السياسية؟

في تساؤلات تاصيلية يطرح الدكتور نبيل علي في مقدمة كتابه عن الثقافة العربية وعصر المعلومات بعض هذه العلاقة بين السياسة والانترنت فهو يتساءل { ما كل هذا الضجيج حول الانترنت وطريق المعلومات الفائق السرعةINFORMATION SUPER HIWAY

وكيف اصبحت هذه الامور ذات الطابع الفني قاسما مشتركا في سياسات الحكومات وبرامج الاحزاب السياسية من الحزب الديمقراطي الامريكي الى حزب العمال البريطاني ، من حكومة

سنغافورة الى حكومة ساحل العاج [1]، ويضيف –هل يقصد آل جور نائب الرئيس الامريكي وصاحب مصطلح طريق المعلومات الفائق السرعة ان يكون هذا الطريق الجديد بمنزلة النظير العصري لسلفه طريق السيارات السريع ؟ وكما كان السلف هو شريان نقل – بضاعة- الصناعات الامريكية التقليدية محليا فسيكون اللاحق هو شريان نقل –بضاعة- صناعة الثقافة الامريكية عالميا..وهل لنا – استطرادا لما سبق –ان نعي حرص آل جور على ان ينقل طموحه المحلي خارج حدود بلاده حيث نادى اخيرا بإقامة بنية اساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء اغنياء عالمنا وفقراءه، ولنسترق السمع الى تلك الصيحة السامية النبيلة التي تواترت مثيلاتها منذ ظهور الكمبيوتر، يقول آل جور {دعونا نتجاوز الايدلوجيا لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية=، وكم كان فطنا جون ستراتون عندما لفت نظرنا الى – سندويتش- آل جور الوارد أعلاه حينما وضع احلام التنمية البشرية من صحة وتعليم وحماية بيئة بين شطري هذا السندويتش ونعني بهما – الاقتصاد الحر والديمقراطية- مسفرا بذلك عن ايدلوجيا النموذج الرأسمالي الذي يسعى القطب الامريكي لتعميمه من خلال مخطط للعولمة، ويالك من- شاطر – يا آل جور وياله من – شاطرومشطور- ، ولا يكتمل المخطط العولمي الا بدعم من المنظمات العالمية لاضفاء لمسة الشرعية على ممارسات العولمة الامريكية، وها هو الاتحاد العالمي للاتصالات –آي تي يو- يلبي النداء ويعلن عن استراتيجيته لاقامة هذه

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص23

البنية التحتية المعلوماتية العالمية في التوجهات الخمسة التالية

- تنمية من خلال الاستثمارات الخاصة
- منافسة وفقا لقوانين السوق
- قواعد وتنظيمات مرنة لتسهيل عمل مؤسسات الاتصالات وتنظيم المنافسة بينهم
- لا تفرقة في حق النفاذ الى شبكات الاتصال
- التوجه العالمي لخدمة الاتصالات.

وكما هو يسير الاتحاد العالمي للاتصالات على الدرب نفسه في تأكيده الصريح على قوانين السوق الحرة، وذلك في شأن بنية تحتية حيوية اصبحت من المقومات الاساسية لتنمية شعوب العالم، ويكفي هذا دليلا على ان المنظمات الدولية ستستخدم سلاحا في يد القوي لفرض سيطرته وتأمين مصالحه في إطار تلك الظاهرة المسماة بـ- العولمة- التي تجوب جميع الديار تحيطها وصيفتاها :الشركات المتعدية الجنسية على جانب والمنظمات الدولية على الجانب الآخر .

ويتكرر تساؤل الدكتور نبيل علي بشكل اوضح عن الانترنت كآلية سياسية حيث يقول { هل لنا ان نصغي –بالتالي- الى ما يردده كثيرون من ان شبكة الانترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة باسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية هل آن لحلم البشرية ان يتحقق؟ أم ان هذه النظم –كعهدنا بها –ستكون سباقة الى استخدام سلاح الانترنت لغرض الانصياع والانضباط على جماهيرها المقهورة=.

وهو يتوقع في المجال العربي وفي اطار العولمة عبر وسائل الاتصال والانترنت خاصة ان يحدث ما يلي :

- ستتقلص فرص العمل بفعل العولمة امام اجيالنا سواء كانو كبارا او صغارا ، وسيزداد نزيف عقولنا عن بعد عبر الانترنت وهو ما يحدث حاليا بمعدلات متزايدة خاصة بالنسبة الى مهندسي الكمبيوتر ونظم المعلومات

- ستخترق اسرائيل سوقنا الثقافية مستغلة في ذلك اساليب التجارة الالكترونية عبر الانترنت وما اكثر اساليبها الملتوية

- ستتمادى اسرائيل في تشويه صورة ثقافتنا العربية والاسلامية على الانترنت مستغلة في ذلك تفوقها الحالي في تكنولوجيا المعلومات وشبكة تحالفاتها مع المراكز الاكاديمية والتنظيمات الثقافية والدينية عبر العالم= .

ان الوجه السياسي الواضح للانترنت جاء بعبارة واضحة وصفية في تقرير – صيانة المحتوى المعلوماتي –تجربة موقع الجزيرة نت حيث جاءت الصياغة الوصفية التالية تحت عنوان الوجه السياسي للانترنت + ان وجود الانترنت من عدمه ومدى القيود المفروضة على استخدامه اصبح احد سمات التطور والتحرر الديمقراطي الذي يميز دولة ما عن أخرى، ولعل هذا الوجه السياسي لهذه الوسيلة المعلوماتية ذات الطبيعة غير المقيدة بصورة عامة والتي لم يقتصر استخدامها على الدول الغربية المتقدمة فقط وانما امتد ليشمل دول العالم الثالث او ما يطلقون عليه الدول النامية بما فيها الدول العربية التي جاءت هذه الوسيلة لتمثل متنفسا آخر لشرائح عريضة من فئات مجتمعاتها بنت عليها مواقع عدة تعبر عن شخصياتها وتوجهاتها وآرائها في شتى المجالات، وقد لاحظنا

كيف ان بعض الدول العربية التي توصف نظمها بالدكتاتورية تحرص بشدة على عدم توفير هذه الوسيلة لمواطنيها وان وفرتها فانها تقيدها وتفلترها بما يخدم مصالحها ويقمع معارضيها ويحجب مواقعهم=[1] .

على ان هناك من الباحثين من يؤصل مسألة ارتباط السياسة كأيدلوجيا بوسائل الاتصال وحيثياتها ، حيث يقول يحي اليحياوي تحت عنوان –في ايدلوجيا الاتصال ما يلي (كلما كان هناك اتصال فثمة حتما ايدلوجيا إذا لم تكن جلية واضحة فضمنية مبطنة بالقطع، فالاتصال –تقنيات، مضامين –لا يستنبت في بيئة جرداء او في فضاء عقيم ،بقدر ماهو افراز لسياق ثقافي واجتماعي منبن بالضرورة في شكله كمكافيء الجوهر على تمثل محدد للذات وتصور معين للكون ،واذا كان من المسلم به في تاريخ تقنيات الاتصال تحديدا ، ان الاداة تبقى في الغالب الاعم والى حد بعيد براء من الاستخدام الذي يترتب على استعمالها فانه من الثابت ايضا وفق ما تقدمه سوسيو لوجيا الاتصال انها تبقى لدى وضعها على المحك حمولة رمزية تبني ما نسميه في هذا النص –ايدلوجيا الاتصال.

والايدلوجيا التي نقصدها في هذا المقام ليست فقط لصيقة بالاتصال ملازمة له على مستوى المضامين، مضامين الرسالة التي تطبع علاقة الباث بالمتلقي، بل هي كامنة ايضا في البعد –الادواتي- الذي يطبع هذه العلاقة ويؤسس لمرتكزاتها الاساسية)[2] .

---

(1) صيانة المحتوى المعلوماتي اعداد محمد السيد محمود ص3

(1) التكنولوجيا والاعلام والديمقراطية يحي اليحياوي ص39

ان الاستاذ يحي يؤمن بان الاتصال ايدلوجيا محكومة بالايدلوجيا الليبرالية التي تسودها وتغمرها بمعطياتها ويؤكد هذه الحقيقة في اضافته لما تقدم قوله {ليس ثمة شك على ما نرى في اننا حقا بإزاء طغيان للاتصال، تقنيات وبرامج، ادوات ومضامينن بنى تحتية ومعارف، واننا قطعا في هذا الطغيان بإزاء ايدلوجيا تتغيا -تبغي- توحيد الافراد والجماعات ونفي التباين ضمنهم جملة وتفصيلا، واننا عن كل هذا وذاك بإزاء توجه لليبرالية الجديدة نحو فرض نموذج موحد في الثقافة والفكر يعتبر الاتصال حالا واستقبالا اداتها ووسيلتها ،إذ بقدر ما تدغم الايدلوجيا الليبرالية ايدلوجيا الاتصال وتحولها الى عنصر من عناصرتكريسها، بقدر ما تدمج هذه العناصر بغرض تجديدها وتجديد ينابيع التأقلم في صلبها ..وبالتالي فليس ايدلوجيا الاتصال الا رافدا من روافد الايدلوجيات السائدة وفي مقدمتها الايدلوجيا الليبرالية .

اذا لم يكن الامر كذلك فبم نفسر اخضاع ادوات الاتصال والمضامين الممررة عبرها لمؤسسات ترفع السوق والليبرالية الى مرتبة القداسة كما هو حال منظمة التجارة العالمية مثلا ناهيك بالعديد من المنظمات الناسجة على منواله) [1] .

ان الاستاذ يحياوي يتفق في هذا مع الدكتور نبيل علي في توظيفات ادوات الاتصال لصالح الليبرالية والديمقراطية، وخاصة في التطبيق العملي لها، وهذا ما أكده اليحياوي في ممارسة تطبيقية حقيقية هي احداث سبتمبر حيث كتب تحت عنوان -أي نظام اعلامي عالمي بعد 11سبتمبر يقول (لوكان لنا ان نسلم جدلا بعزم الولايات المتحدة على اقامة نظام عالمي جديد او احياء منظومته المتراجعة منذ

---

(1) ن م ص42

انتهاء حرب الخليج الثانية، لسلمنا دونما اجتهاد كبير بامكانية قيام نظام اعلامي عالمي يكون له بمثابة الركيزة والوعاء له، والواقع انه لو كانت النية قائمة لدى الولايات المتحدة –وهي قائمة بالتأكيد منذ ما تعرضت له هيبتها وكبرياؤها من تجريح يوم الحادي عشر من سبتمبر– لو كانت النية قائمة لديها على اقامة نظام عالمي جديد ،فانه لن يمهد السبيل الى ذلك الا اعتماد نظام اعلامي يرسي لها البنية التحتية الضرورية ويؤثث لها الهيكل والشكل)[1]، ويضيف بعد استطراد لما فعلته الولايات المتحدة ضد فكرة المجتمع العالمي فيقول –لن يبقى لمواصفات المجتمع الاعلامي العالمي هذا من كبير اثر بعد ما تعرضت له امريكا من احداث وما استتبع ذلك من ممارسات :

- فالقنوات التلفزيونية –الفضائية منها والارضية –لم تعرض- ولن تعرض بعد هذا التاريخ من اخبار وتحليلات الا ما ارادتهالادارة الامريكية وارتضته، وبالتالي فارتهان الحرية الاعلامية في جانب المؤسسة العسكرية والتضييق على الحق في الإخبار الحر والمستقل اصبحت القاعدة والسمة المركزية في السلوك الرسمي الامريكي لا الاستثناء، ناهيك عن الرقابة الذاتية التي لا تعدو في نهاية المطاف كونها استسلاما من طرف المؤسسة الاعلامية.

- والبريد الالكتروني، المواقع على شبكة الانترنت كما المكالمات الهاتفية والمواقع المموسطة اعلاميا، اصبحت هدف مؤسسات الاستخبارات والتحقيقات والامن العسكري، تماما كما اخترقت حقوق الافراد والجماعات في التعبير الحر عن الصحافة المكتوبة والتفكير المستقل داخل المنظمات والمؤسسات الاعلامية

---

(1) ن م ص55

نحن اذن –يقول اليحياوي- بإزاء تنكر صارخ من جانب الادارة الامريكية ومن جانب غيرها في باقي الدول الغربية لمباديء لم تتجرأ الادارة ولا تلك الدول يوما على المساس بها او الطعن في استلاليتها.

وحينما يعالج يحياوي مسألة الارهاب التي رهنت الاعلام كله لديها بما فيه الانترنت، ينطلق من مقدمة العلاقة بين السياسة والاعلام يقول فيها (لم يكن رجال السياسة يوما راضين الا فيما ندر عن الاعلام ولا عن ممارسيه فهم يحتاطون منه أيما احتياط حينما يكون قويا وذا سلطة وجاه، وهم يستبيحونه ايما استباحة عندما يصبح مكمن ضعف وهوان، وهم بين الامرين يداهنون درءا لجبروته او يحتاطون تجاهه خشية قيامه من هوانه .- ..بعد ذلك يبحث موقع الانترنت في سياسة الارهاب المستخدمة ضد الاعلام عموما حيث يقول عنها- لا خيار للمنظومة الاعلامية في ذلك فهي بصحافتها المكتوبة والمسموعة والمرئية، وبشبكتها لتبادل المعلومات أي الانترنت مجبرة لا مخيرة على الامتثال لرهانات تتجاوزها وتتجاوز الفاعلين فيها –المتطلعين الى الاستقلالية بالاساس –وإلا فلا مناص من سقوطها في محظورات أخفها جنائي النتائج والتبعات ...لم تتخلف اعتى ادوات تكنلوجيا المعلومات –اعني شبكة الانترنت- عن تغطية الحادث بالكلمة والصورة والصوت حتى ليخال للمرء وهو يبحر في تقديماتها انها لا تزال تحتفظ بهامش الحرية والتحرر الذي طبعها منذ ولوجها الميدان العام اوائل ثمانينات القرن الماضي .. ليس من المؤكد ان الشبكة قد استطاعت النأي بنقاوتها عن صراعات السياسة والايدلوجيا، ولا عن ممارسات الحرب السيميائية التي اعلنتها الادارة الامريكية والتقطتها مواقع الشبكة بعدما – موسطت- لها بامتياز كبريات الصحف والمجلات والقنوات الاذاعية

والتلفزيونية، فهي شأنها في ذلك شأن باقي وسائل الاعلام ،قد سقطت بدورها في تغليب البعد الاتصالي –بما هو نقطة التقاء فضاءي التقنية والكلمة، على البعد الاعلامي باعتباره أداة إخبار وتبليغ محايدة مكرسة بامتياز ما يسميه ايغاسيو رامونجي بـ طغيان الاتصال .

وشبكة الانترنت كسواها من وسائل الاعلام الاخرى، اضحت رهينة بيد الاستخبارات ومصالح الامن ومكاتب التحقيقات تشوش على مواقعها، تغلق شركاتها دون استئذان قضائي تفتح صناديق بريدها دونما اذن او تبرير شرعي وتطارد الصفحات المصنفة مشبوهة دونما تحديد لطبيعة الاشتباه هذه .. وهكذا ان شبكة الانترنت كما سواها من وسائل الاعلام –اصبحت من هنا والى حد بعيد فضاء لتنسيق السياسات الاستخبارية والامنية ما دامت مادتها أي المعلومات هي نفسها التي يحتكم اليها مديرو الاستعلامات حتى وان كانت المادة اياها مجرد اشاعلات متداولة او تبدو في شكلها غير ذات اهمية .

ثم ان شبكة الانترنت اصبحت وكرا لاحجام ضخمة من المعطيات والمعطيات المضادة من المستحيل هيكلتها او ترتيبها او تبيان جانب الحقيقة فيها من الخطأ وهي بذلك انما تكرس المبدأ القائل ان تكرار المعطى الى مالانهاية سيجعل منه حقيقة حتى وان كان مجرد اشاعة اطلقها صحفيون لم يعد بإمكانهم المراهنة على تحقيق السبق او بلوغ الريادة في الاداء إذ الكل معتم عليه الكل ضد الكل مع الكل في الخفاء اكثر من العلن)[1] .

---

1 –ن م ص83

لاشك ان هذا الاتفاق على ان الانترنت شبكة يمكن استخدامها –وهي تستعمل حقا في ترويج أي سياسة تتبناها جهة معينة وتضع لها مواقع على الشبكة، ومن هنا فان مساهمة الانترنت في النضال السياسي يمكن ان يكون مساويا لمحاولات التحكم بهذه الشبكة من قبل المحتكرين الكبار والشركات المتعدية الجنسية اضافة الى الحكومات، **على ان ما تتيحه هذه الشبكة للنضال السياسي والشعبي يمكن ادراجه فيما يلي :**

1- تسهيل سرعة الاستجابة للاحداث الساسية والرد السريع على التحديات في سرعة قياسية، فلم يعد الأمر يحتاج الى سيارات تحمل ابواقا وتجول في المدن لدعوة الناس الى مسيرة، او انفاق مبالغ طائلة لترويج حدث سياسي في وسائل الاعلام التجارية، بل اصبح الأمر مجرد تحرير رسالة تعبئة واستنفار وارسالها الى العناوين الالكترونية لآلاف الناس في لحظة واحدة او نشرها على مواقع معينة في الشبكة الالكترونية ليطلع عليها الآلاف فيستجيبون للنداء.

2- تشويش الحكومات القمعية وخلخلة استراتيجيتها من خلال الحشد المتوازي المتعدد الرؤوس والمنابع ،بحيث لا تستطيع القوى القمعية ان تحدد هدفها بدقة، او تصوغ تكتيكا فعالا للقضاء عليه، بل لا تستطيع ان تحدد التشويش الفكري والاستراتيجي في أذهان القوى القمعية يشل حركتها ويقضي على فاعلية ردها، ويختلف الامر لو كان واضحا للسلطة ان وراء الاحتجاجات حزبا او منظمة او حركة مخصوصة، يسهل حشرها في زاوية ضيقة .

3- تغير مفهوم التظاهر والاحتجاج بعد وجود الانترنت، فلم يعد بالضرورة ذلك الحشد البشري المادي المثير للصخب، المؤدي الى الشغب وربما لى التخريب والقتل وانما اصبحت امواج الرسائل الاحتجاجية او التأييدية التي ترد عبر الانترنت تعوض الاحتشاد المادي في مكان واحد اذ رأى اهل القضية ان يتفادوا المواجهة المباشرة مع القوى القمعية او اجتناب الآثار السلبية والثمن الباهظ للاحتشاد المادي، وقد برهنت العرائض الالكترونية التي يوقعها الآلاف او ملايين الناس على انها اداة سياسية فعالة تغني احيانا عن المظاهرات الحاشدة .

4- حول الانترنت تظاهرات الاحتجاج والتأييد من نشاط محلي الى ظاهرة عالمية حيث تتوارد الرسائل من جميع انحاء العالم لتأييد موقف سياسي معين او للاحتجاج على آخر، ففي عام 2000 وقع مائة الف شخص من مختلف الاوطان والاديان خلال ايام معدودة مذكرة مرفوعة الى مندوبية الامم المتحدة لحقوق الانسان عبر الانترنت تطالب بمحاكمة أرييل شارون بجرائم الحرب التي ارتكبها في 1982ابان الغزو الاسرائيلي لبيروت، وهذه الصيغة الجديدة للاحتجاج والتظاهر ثمرة من ثمرات الانترنت، وتعبير عن الامكانيات السياسية التي يوفرها، وقد دعاها بعض الباحثين الديمقراطية الالكترونية والمجتمع المدني العالمي .

5- ان الخبرة والتسهيلات الي وفرتها الانترنت في مجال التنظيم والاتصال والاعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير الى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي كما كتن الحال في الستينات والسبعينات من القرن العشرين حيث

كانت قوى التغيير تحتاج الى دعم دول معينة في مجال الاتصال والاعلام والتأمين –حمل جوازات سفر الدول المساندة، والحديث عبر وسائل اعلامها، واستخدام الحقائب الدبلوماسية التابعة لسفاراتها ...الخ لكن الانترنت جعلت التنظيمات السياسية في غنى عن كل ذلك فحررها من ثمن الدعم الخارجي الذي كثيرا ما يتضارب مع اهداف حركات التغيير ورسالتها .

6- لقد أفادت الانترنت حركات التغيير الديمقراطي في العديد من دول العالم ومن أشهر الامثلة على ذلك ثورة الطلاب الصرب ضد مجرم الحرب سلوبودان ميلوفيتش الذي كان يقود بلادهم، فقد كان لطلاب جامعة بلغراد لعظم الدور في اشعال الثورة ضد ميلوسوفيتش، وكان الانترنت أعظم وسيلة لهم في الاتصال والاعلام والتعبئة حتى لقد دعو ثورتهم ثورة الانترنت .

7- لعل من الممارسات العربية لاستخدام الانترنت في الصراع العربي الاسرائيلي ما فعله الفلسطينيون تحت عبارة الجهاد الالكتروني او الانتفاضة عبر الانترنت حيث يشير الاستاذ جمال محمد غيطاس في كتابه الديمقراطية الرقمية اليها قائلا {في يناير 2001 كان قد مضى ما يقرب من 12 اسبوعا على اندلاع انتفاضة الاقصى، وفي هذا الشهر تزايدت وتيرة الانشطة العربية والاسلامية عبر الانترنت في التعبير عن القضية ومحاولة كسب الرأي العام العالمي الى صفها وصف الفلسطينيين، وساعتها كان قلما نجد موقعا عربيا او اسلاميا لا يحمل صدر صفحته الرئيسية صورة الطفل محمد الدرة الذي استشهد برصاص الجنود الاسرائيليين وهو محتم بوالده، وفي المقابل نشرت المواقع الاسرائلية صورا لمعلمة يهودية في الخليل

بالضفة الغربية قتلت في عملية فلسطينية مما يشعل هذا المواجهات، واعتمد الفلسطينيون –الى جانب قدراتهم الذاتية- على مساعدة المواقع العربية والاسلامية التي تشكل مركز الثقل في المواجهة، وتطور الامر شيئا فشيئا وانتقلت صور الشهيد محمد الدرة الى موقع شبكة ام اس ان بي الاخبارية الامريكية واحتلت المركز الاول في التصويت الذي اجرته الشبكة حول اكثر الصور تأثيرا وتعبيرا عن بشاعة الحرب والممارسات الاسرائيلية، وهنا تدخلت العديد من المواقع العربية الداعية للدخول على موقع شبكة ام اس ان بي سي والمشاركة في التصويت الذي تجريه الشبكة .ولفت الانتباه ايضا ان الفلسطينيين والعرب والمسلمين حاولوا تطوير احتجاجهم الرقمي على ما يجري في فلسطين بوسائل اكثر فعالية، فطوروا فيروسا اطلق عليه فيروس –ظلم- والذي صنف على انه اول فيروس ذي طابع سياسي يظهر على نطاق واسع على الشبكة ويجسد احدى وسائل الاحتجاج الرقمي الديمقراطي السلمي غير الضار على الانترنت ،وذلك لان مصممي الفيروس تميزوا بقدر كبير من الحكمة والحصافة، وانتبهوا الى ضرورة ممارسة هذا النوع من الاحتجاج الديمقراطي بطريقة لا تتصادم مع الطبيعة الخاصة للانترنت، فصمموا الفيروس بحيث لا يهاجم وحدات التخزين او يمحو المعلومات من على الحاسبات التي يصيبها او يؤثر سلبيا على نظم التشغيل كما تفعل الفيروسات الاخرى، ولكنه يكتفي فقط بتوجيه الحاسب الذي يصل اليه الى مواقع على علاقة بالقضية الفلسطينية ثم يعرض رسالة تقول –لا تقلقوا هذا الفيروس غير مؤذ لن يضر نظامكم ان هدفه هو مساعدة الشعب الفلسطيني على العيش بسلام في اراضيه،

وحينما تابعت الشركات المتخصصة في امن المعلومات اداء هذا الفيروس وجدت انه يدخل نفسه بشكل آلي الى خمسة وعشرين عنوانا حكوميا للبريد الالكتروني فور فتحه، ويفتح خمسة نوافذ على شاشة الكمبيوتر تتصل بمواقع موالية للفلسطينيين وترسل نفسها الى اول خمسين اتصالا في قائمة مستخدم هذا البريد الالكتروني)[1]

ان معطيات الديمقراطية الرقمية لا تقف عند حدود ممارسة التصويت الديمقراطي عبر الانترنت ولا عند اجراء المسوح الميدانية عبر الانترنت بل تجاوزتها الى اعلان الاحتجاج والعصيان المدني الالكتروني، الذي يقول عنه هنري ثورو المنظم له –كل الناس يتمسكون بحق الثورة، وهو حق رفض الولاء لحكومة ما بل ومقاومتها عندما يصبح استبدادها وطغيانها وعدم كفايتها امورا غير محتملة، وقد جاء دور العصيان المدني الالكتروني كبديل عصري او على الاقل مؤازر للاحتجاج البدني، كما انه يعد حلا مثاليا للذين يودون لو شاركو المتظاهرين ولكنهم يؤثرون السلامة على المشاركة في التظاهرات الفعلية في الشوارع_.

ان العصيان المدني الالكتروني يحاكي ما يحدث في الشارع دون احداث خسائر مادية ،مقارنة بما يحدث على ارض الواقع ،فبينما يقوم المتظاهرون بسد المداخل والمخارج والممرات لمنع تدفق المسؤولين، يعترض ناشطوا العصيان المدني الالكتروني التدفق المعلوماتي لمختلف الهيئات لشلها وتعطيلها وهو ما يحدث ضغطا ماليا لا يمكن للتظاهر البشري الذي يجري في الشارع ان يحدثه ،حيث ان تدفق المعلومات ورؤوس الاموال من اهم عناصر الحياة في المجتمعات الراسمالية، عن آلية

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص114

العصيان المدني الالكتروني لا يحتاج اكثر من جلوس عدد كبير من الناشطين سياسيا وراء شاشات الحواسب والاتصال بالانترنت للتظاهر او لتكوين رأي عام ما ، ولكن بصور ووسائل قد تكون احيانا اكثر فلاحا من المواجهة الحقيقية مع السلطات مثل

- القيم بارسال آلاف الرسائل الاحتجاجية والمنددة ...الخ الى شتى الجهات المعنية بصورة ضاغطة مزعجة عن طريق البريد الالكتروني، غير انه يستخدم هنا لغرض سياسي لا لترويج سلعة أو الدعاية لها .

- الدخول الى غرف الدردشة في الانترنت للقيام بحوارات وتكوين رأي مناصر او مناهض لقضية ن القضايا ، فيما يعرف باسم المحادثات السياسية ، كذلك تكوين جماعات ضغط سياسية داخل مجموعات المناقشة في الانترنت .

- القيام بتعطيل موقع ما عن طريق دخول عدد كبير من المستخدمين على ذلك الموقع في وقت واحد ، مما يهيىء ورود عدد هائل من الطلبات التي يجب ان يلبيها الحاسب الخادم الذي ينطلق من خلاله هذا الموقع، وإغراق الخادم تحت هذا الطوفان من الطلبات حيث يقوم الناشطون بالدعوة لذلك العمل المنظم قبلها بفترة كافية حتى يتسنى لاكبر عدد من المشاركين الدخول في توقيت واحد دقيق بفتح عدد غير محدد من نوافذ التصفح وكتابة عنوان الموقع فيه ،والضغط عليه في ساعة صفر معروفة سلفا فيما يعرف بهجوم ايقاف الخدمة .وكل ذلك يؤدي الى حرمان المستخدم العادي غير المنخرط في ذلك النشاط من الوصول الى الموقع او الخدمة التي يقدمها الموقع وهو عقاب للموقع من ورائه

- الوصول للهدف نفسه السابق بإحدى الوسائل السهلة غير المكلفة من حيث الوقت، ولا تحتاج لأي خبرة ومنها أمر يستخدم لاختبار وجود موقع ما، غير انه قد يستخدم من خلال مستخدم عادي ليكتب سطرا واحدا عبارة عن عنوان الموقع يتقدمه أمر ping ليقوم الجهاز بذلك الاختبار بشكل متكرر

- ارسال الرسائل الالكترونية وتداولها بالاضافة الى عمل المواقع لنشر الافكار والرؤى الخاصة في شكل مظاهرة لخلق رأي عام ضد قضية ما، أو في سبيل تعضيد قضية اخرى بالاضافة الى ابراز عيوب الاولى ومخاطرها في مقابلة واضحة لمزايا وفوائد الثانية .

(وهناك طرقا اخرى للعصيان المدني الالكتروني الذي لا زال في طور الطفولة سواء من ناحية النظرية او التطبيق ،فما حدث حتى الآن وما يحمله الغيب من احداث يمكن ان تقوم بها مليشيات العصيان المدني الالكتروني جميعها يدل على ان هناك تغييرا قد يكون جذريا في اساليب مناهضة القوانين والمنظمات والحكومات والمعاهدات وان المتمردين على الدكتاتورية التي تحكم بالحديد والنار واحزاب الخضر وجماعات السلام الاخضر والمهتمين بشؤون البيئة وانصار الديمقراطية وحقوق الانسان والمطالبين بحقوق العمال والمنددين بالعولمة الى آخر هذه القائمة المعروفة، قد وجدوا ضالتهم التي ينشدونها في هذا النوع من العصيان المدني الالكتروني[1]).

وهكذا نجد ان الانترنت يمكن استخدامها للسياسة المؤيدة او المعارضة، وأن توظيفاتها السياسية لا تقف عند حد، وأن الذين

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص110-111

يحاولون استخدامها كاداة عولمية لنماذج رأسمالية محددة يجب ان يحسبوا حساب هذه المعارضة بالادوات الالكترونية التي تروج للعولمة.

فالانترنت اداة سياسية واعلامية واقتصادية، يمكن توظيفها لعولمة العالم كله ولكنها مفتوحة للجميع وديمقراطيتها الرقمية لمن يستطيع ان يستخدمها ويوظفها، فالاحتكار هنا محدود فليس ثمة احتكار مطلق ولازالت المنظمات تستخدمها للارهاب وضد الارهاب على السواء.

5- الانترنت والاقتصاد المعلوماتي

حينما نعود الى الاسئلة التي طرحها الدكتور نبيل علي في مدخل كتابه الثقافة العربية وعصر المعلومات، نجد ان تساؤله عن معنى ما طرحه آل جور حينما قال –دعونا نتجاوز الايدلوجيا، لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية –هذا التساؤل يعني تبني الاقتصاد الحر في المعنى الاقتصادي للمعلوماتية، كما يعني تبني الديمقراطية في المعنى السياسي الليبرالي لها، أي ان ايدلوجيا النموذج الرأسمالي هو الذي يسعى اليه ىل جور في مطالبته لبناء قاعدة معلوماتية عالمية في عصر العولمة الجديد هذا الذي تقوده الشركات المتعددة الجنسية الى جانب المنظمات الدولية .

هنا نأتي الى التساؤل الاقتصادي الكبير للدكتور علي (ماذا يفعل فقراء هذا العالم وكلفة انشاء هذه البنية التحتية تقدر بتريليونات الدولارات؟).

ويكررالدكتور علي تساؤلاته بشكل آخر ولكن هذه المرة عن العولمة الاقتصادية فيقول (ما كل هذا الجدل حول ظاهرة العولمة ؟ مايزيد على 1500 مؤتمر وندوة؟ تلك الظاهرة وليدة ثورة المعلومات والتصالات، هل هي دين الراسمالية الجديد ؟ نوع متطور من الحتمية الاقتصادية لملء فراغ الحتميات بعد ان خلا بزوال النازية والفاشية والشيوعية ؟ (ثم يزيد في التساؤل الآخر عن معنى الاندماجات في صناعة الاعلام والسينما حيث يقول (ما كل هذه الاندماجات بين عمالقة صناعة الاعلام وصناعة السينما ودور النشر وشركات برمجة الكمبيوتر والانترنت؟ مثال رقم 1 شركة ام سي ان لاتصالات الالياف الضوئية مع مؤسسات روبرت مردوخ الاعلامية، مثال رقم 2 شركة وارنر للاتصالات مع التايمز دار النشر الصحفية ثم مع سي ان ان قطب الاعلام التلفزيوني، وأخيرا مؤسسة ايه او ال كبرى الشركات الامريكية لتقديم خدمات الانترنت).

وما الذي دعا شركة سوني اليابانية الى شراء شركة سي بي اس للتسجيلات الموسيقية واستديوهات كولومبيا للانتاج السينمائي ؟ وما هذه الارقام الفلكية التي تتنامى الى اسماعنا عن عوائد صناعة العاب الفديو –حوالي 70بليون دولار سنويا- وعما ينفق فيها حاليا من استثمارات ضخمة تقدر بعشرات المليارات من الدولارات سنويا، تساهم بها شركات امريكية عملاقة أقامت سمعتها على تقديم الخدمات الجادة لمؤسسات الاعمال والاموال، شركة أي تي اند تي على سبيل المثال، هل وقار الكبار وقد ذهب يبحث عن مصروف الصغار ويزيد من نصيبه من مصروفات المنازل ؟ أم انه التقارب بين اللعب والعمل الذي

يشهده مجتمع المعلومات ؟) [1] .

لاشك ان الجواب على هذه التساؤلات التي جاءت في مضمون كتاب الدكتور علي هي المدخل والمضمون الحقيقي للبعد الاقتصادي للمعلوماتية بما فيها الانترنت التي تقودها جميعا فماذا اجاب الدكتور علي عن هذه التساؤلات ؟

حينما بحث الدكتور علي عن علاقة منظومة تكنلوجيا المعلومات بالمنظومة الاقتصادية قال {تبرز اهمية المعلومات اقتصاديا في ضوء تعدد الادوار الاقتصادية لها ،فالمعلومات سلعة اقتصادية، وخدمة اقتصادية، وذلك علاوة على كون المعلومات موردا حيويا مساندا لجميع الانشطة الاقتصادية الاخرى، لقد ادت تكنلوجيا المعلومات وفيضها الزائد الى زيادة الانتاج مما حدا البعض الى ان يتساءل : هل اصبحت الرأسمالية الحديثة منتجة اكثر من اللازم؟ وكما يقول محمود عبد الفضيل فان التوسع الهائل في امكانات الانتاج سيصحبه تقلص فرص العمل وارتفاع معدلات البطالة بشكل دائم مما يؤدي الى قصور في الطلب ثم الركود والكساد الاقتصادي ...هذه بصفة عامة، **أما اهم ملامح العلاقة المعلوماتية –الاقتصادية في رأي الكاتب فهي :**

الاندماجات الاقتصادية الضخمة التي تتم حاليا في قطاعي المعلومات والاعلام وما ينجم عن ذلك من خلل في توزيع فرص العمل والانتاج والابداع الى حد الاحتكار

- الامور المتعلقة بالملكية الفكرية وتسعير خدمات الانترنت خاصة فيما يتعلق بشق المحتوى، المادة الخام لصناعة المعلومات .

---

(1)الثقافة العربية وعصر المعلومات ص24-26-28

- التغيرات الجذرية المتوقعة في اقتصاد النشر الطباعي والسينما الترفيه

وكعهدنا بها لا تتوقف تكنلوجيا المعلومات عن كشف آفاق معرفية جديدة، وها هي تخرج الينا بمفهوم اقتصادي جديد، ونقصد به اقتصاد التنبيه والتركيز attetionl economy والذي يهدف الى ترشيد استخدام الانسان لحواسه البصرية والسمعية، وقدرته على التركيز واستخدامه موارد ذاكرته القصيرة والمتوسطة المدى .

لقد ظهرت اهمية هذا التوجه ازاء –حمل المعلومات الزائد- لقد زادت سرعة المعلومات ومعدل تدفقها في حين ظلت حواسنا وقدراتنا الذهنية ثابتة كما هي وهو ما يتطلب استخداما افضل لهذه الموارد حتى لا ينسحق الانسان امام اعصار المعلومات الجارف) [1] .

لقد انعكست التوجهات الاقتصادية للمعلوماتية على الانترنت حيث انتقل من شبكة اشبه بالمنتدى العلمي والثقافي الى سوق التجارة الالكترونية، بعدما كانت لدى مؤسسيها الاوائل قد وقفت موقفا حازما ضد أي نشاط تجاري او تسلل اعلاني او اعلامي ، إذ أن القوى الاقتصادية التقليدية وجدت فيها قدرة فائقة على ربط مصادر الانتاج بمنابع الطلب وكونها وسيلة فعالة لنقل بضائع صناعة الثقافة عبر طرق معلوماتية فائقة السرعة، وهكذا كما يعبر الدكتور علي –وطئت مؤسسات المال والتجارة والاعلام بأقدامها الثقيلة هذا –الحرم الاكاديمي – محيلة اياه الى متجر الكتروني وبوق اعلاني ومنافذ للتوزيع وساحة بحوث التسويق- .

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص88

وهكذا تحولت الانترنت الى وسيلة الكترونية للتجارة وبدأت مليارات الدولارات تتدفق عبر هذا الوسيط مقابل البضائع ذات الطابع الثقافي اساسا ، وهكذا تكون اكبر وسيلة لثورة المعلومات وتقنياتها تتحول الى تجارة سواء للمعلومات او للتقنيات الخاصة بها ، وهكذا جاءت الارقام الفلكية التي تتداولها هذه التجارة من الدولارات بسرعة لم يحلم بها تاجر ولا صناعي ولا اعلامي، ومن هنا كان عصر عولمة الاقتصاد الذي جر وراءه عولمة الثقافة وحولها الى سلعة دولية مستخدما تقنيات المعلوماتية ذاتها وشبكة الانترنت الماموثية .

ان من الحقائق التي فرزها هذا التوجه الاقتصادي للمعلوماتية في عصر العولمة هو ما حدده يحي اليحياوي في قوله { ان العلم بدأ ينتقل تدريجيا ومنذ مدة من اقتصاد سوق تقليدي وملموس الى اقتصاد شبكات ذي تيارات مستمرة ومتسارعة يبرر جزئيا استعمالنا لمصطلحات الاقتصاد المعرفي او الاقتصاد اللامادي او الاقتصاد الافتراضي او الاقتصاد الجديد ...الخ وبالتالي لم يعد البحث العلمي مرتبطا بابداع وتصميم السلعة او الخدمة بقدر ما اصبح مهتما بما ينتج عنها من ترابطات وتداخلات وتكاملات، في ميدان تكنلوجيا الاعلام ووسائط الاتصال مثلا لم يعد البحث قطاعيا أي منحصرا داخل قطاع واحد ،اتصالات او اعلام سمعي –بصري او معلوميات ...الخ بل اصبح يهتم بمدى ما يتم داخل القطاعات الاخرى بهدف الاستفادة منها او النسج على منواله)[1]

ان النظرة المباشرة الى الجانب الاقتصادي للمعلوماتية لايمكن ان يقود الى الفهم الصحيح الا من خلال العولمة وعصرها الجديد والارقام التي يعكسها اقتصاد المعلوماتية في ظلها ، فمن أبرز مفاهيم العولمة

---

(1) التكنولوجيا والاعلام والديمقراطية ص24

الاقتصادية هي انها تقوم على { اندماج اسواق العالم في حقوق التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق وماليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة وان العنصر الاساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية الحدود) [1]، أما آلية العولمة تقنيا، فإنها تستخدم ثورة تكنولوجيا الاتصالات الجديدة ومنها الانترنت وتظهر صورة هذه الآلية التقنية من خلال –تضاعف استخدام هذه التقنية عالميا حتى جاوز الوقت الذي استهلك في الاتصالات 60 مليار دقيقة عام 1995 وتضاعف سوقها حتى قارب نصف مليار دولار سنويا ويزداد 10٪ سنويا وكذلك من خلال تقليل تكلفة الاتصالات الى ان تصبح شبه مجانية في غضون السنوات العشرة القادمة وعن طريق الانترنت الآن بأمكان أي شخص من منطقة الخليج التصال بأوربا وأمريكا بتكلفة لا تزيد عن 4سنتات للدقيقة الواحدة

- في مجال الانترنت وهي الشبكة التي حطمت القيود والحواجز وحققت وحدة معلوماتية سيكون لها المستقبل وتأثيرها من خلال سعتها ومحتوياتها وحرية استخدامها ومن ذلك مستخدمو الانترنت اكثر من 500 مليون مستخدم، كما ان مواقع الانترنت التجارية والحكومية والخاصة قد تزيد على 500مليون موقع وهي تزداد يوميا بشكل سريع

- طرحت بدائل جديدة للتجارة تسمى الان التجارة الالكترونية ونشأت الاسواق الالكترونية وتحققت وحدة السوق العالمي وضخت المليارات الدولارات مثل مدينة الانترنت في دبي

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص85

- زادت صفحات الانترنت في نهاية عام2000 على مليار ونصف صفحة والمستخدمون العرب اقل من 1٪ من مجموع المستخدمين[1]

تمظهر عولمة المعلوماتية عبر الانترنت في الاعلام والسياسة والاقتصاد:

1- مدخل نظري:

حينما نحاول ان نعرف مسألة أو موضوعا شاملا، تقف اللغة قاصرة عن الاحاطة بالمعرف به، وإذا كان شمول المسألة او الموضوع يحتمل تنوعات واختلافات، فإن التعريف يكون أصعب وهذا مانجده في محاولة الباحثين تعريف مصطلح العولمة، فالعولمة بالنسبة للاقتصاديين هي تجارة الكترونية وبالنسبة للسياسيين هي ديمقراطية الكترونية، كما انها بالنسبة للاعلاميين هي صحافة الكترونية، ولكن التعريف لكل منهم لم يعطنا مفهوما واضحا للعولمة وتمظهراتها فإضافة كلمة الكترونية لا تزيد الكلمة وضوحا، لأنها كلمة تقنية ملصقة بمعنى اقتصاداو سياسة او اعلام، ولما كان لابد لنا ان نتقدم بتعريف محدد للعولمة المعلوماتية والآليات والوسائط التقنية المعبرة عنها في هذا العصر .فإننا سنستعرض بعضها هنا

يقول الدكتور احمد فؤاد باشا عبر مقال له على الانترنت (لاشك ان صياغة تعريف جامع مانع –كما يقول المناطقة –لمصطلح العولمة ليس بالامر اليسير نظرا لتعدد مفاهيمه التي تتأثر كثيرا بتعدد الاتجاهات إزاءه رفضا او قبولا بدرجات متفاوتة، والأفضل فيما نرى ان

---

(1) ن م ص88

يتم تعريف العولمة بتحديد أهم خصائصها وصفاتها ومظاهرها التي تدل عليها، ويمكن من جانبنا ان نجسد هذه الخصائص والصفات بصورة اجمالية في امرين مهمين جدا :

الامر الاول : نستشف من تحاشي انصار العولمة وبعض فلاسفتها ادخال الدين ضمن مجالات نشاطهم، فهم يحصرونها بصورة رئيسية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة، وفي بعض الاحيان يدرجون مجال العلم والتقنية، وهم بهذا الاختزال يجعلون منها – علمانية- جديدة، تستبعد الاديان من دائرة التأثير

الامر الثاني: هو ذلك التحيز الذي يصل الى درجة التعصب للنموذج الغربي وتعميمه وفرض سيطرته وهيمنته، مع السعي الى اختراق خصوصيات الغير وطمس القسمات التي تتشكل منها شخصيات الامم والشعوب الأخرى ،وخاصة المستضعفة منها وهو –أي النموذج الغربي المدعم بالتفوق المادي والثقافي –يسخر من اجل هذا كل انجازاته العلمية والتقنية وقدراته الاقتصادية وإمكاناته الاعلامية بل وقوته العسكرية اذا اقتضى الامر ليفرض تصوراته الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الانسان وغير ذلك من المفاهيم التي لها عند كل امة بل عند كل توجه فكري وسياسي تصور خاص .

وهذان الامران اللذان يجسدان أهم خصائص العولمة الغربية ومظاهرها التي تدل عليها قد صاحبها خلال السنوات الاخيرة ظهور اتجاهات نقدية جعلت كثيرا من الشعوب بل الحكومات في الغرب نفسه تخشى هذا الخطر القادم وترفض الاستجابة لدعواته والانخراط تحت لوائه.)[1]

---

(1) التقدم في ظل العولمة د احمد فؤد باشا عن الانترنت

وفي بحث نشره عبر الانترنت ايضا الدكتور محمد حسن رسمي عميد كلية الحاسبات والمعلومات في جامعة القاهرة تحت عنوان كيف نتفاعل مع العولمة يقول معرفا العولمة بانها(طوفان كاسح لمن يقف في طريقها رافض ان يتفهم فكرها وفلسفتها وآلياتها اذا كان يملك سدا منيعا يهزم ويلاتها ويسخر لنفسه، ونظام العولمة في حد ذاته يدعم الاقوياء ويطحن الفقراء ويضحك الاصحاب ويبكي الضعفاء بل يمكن صانعها من التحكم والسيطرة وامتلاك مقررات ومستقبل المتفرجين المذهولين الصامتين المنتظرين لمعجزات السماء- ...ويضيف قوله –لو ادرك فاقد معنى ومغزىالعولمة ما تحمله العولمة لمات هربا وفزعا من ويلاتها، انها فيضان النيل في وقت غدره لمن هو غير مستعد له، وخيره لمن بنى السدود واستعد لملاقاته بالعقل والعلم والاخلاص والاصرارعلى تحقيق الذات)[1]

اما الدكتور البياتي فيرى ان هناك غموضا لمفهوم العولمة حيث يقول{ وباختصار فان العولمة عملية متعددة الابعاد، وهذه الابعاد – السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ..الخ متداخلة وليست منفصلة بعضها عن البعض، ونعتقد ان البعد الاجتماعي يحوز الاهتمام الأكبر الآن ليس في حد ذاته ولكن كنواتج للتغيير في العملية الاقتصادية ايضا، **كما ان مفهوم العولمة بقي غامضا للأسباب التالي:**

1- حداثة اطلاق المصطلح

2- تعدد الاقترابات في عملية هذا المصطلح ما بين اقترابات ماركسية ترى ان العولمة –الهجمة الاخيرة للرأسمالية- الى اقترابات حضارية

---

(2) كيف نتفاعل مع العولمة دمحمد حسن رسمي عن الانترنت

ترى ان العولمة مسعى لنفي الحضارات الاخرى غير الغربية، وهناك اقترابات وطنية ترى في العولمة توجها نحو تقويض سيادة دول العالم الثالث وتهميشها.

3- تعدد العمليات التي ينطوي عليها من عمليات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، وتعتبر وسائل الاعلام أحد المرتكزات الاساسية للعولمة باعتبارها تشمل مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية) [1]

- وفي دراسة اعدها مركز الائتلاف للبحوث والدراسات بعنوان –العولمة تجلياتها الثقافية والنفسية ومؤشرات التعامل معها عربيا –نشر على الانترنت تقول الدراسة بأن(اول من تبنى مفهوم العولمة في امريكا هو بريجنسكي الذي كان مستشارا للرئيس الامريكي في 1977- 1980 حيث اراد من العولمةان تطرح النموذج الامريكي للحداثة والقيم الامريكية للحرية وحقوق الانسان، أي ان طرح العولمة – كما تقول الدراسة- كان لخلق توجهات –لتجانس سياسي واقامة الديمقراطية، وتجانس اجتماعي وحرية التنقل وتأمين حقوق الانسان، وتجانس ثقافي أي المعلومة لمن يريدها، وهي تجانسات سترتكز في بعض حوانبها على فن الاقناع - نفسيا – بالوسائل والادوات المتاحة، وبينها وبين استخدام القوة –الردع النفسي- عند الضرورة بهدف فرض قناعات بديلة لعموم المجتمعات البشرية التي باتت قريبة من بعضها بحكم وسائل الاتصال عالية الجودة)[2]

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص89

(2) العولمة تجلياتها الثقافية والنفسية عن الانترنت

ويورد هذا البحث استشهادا من كتاب ديناميكية العولمة للمؤلف جيمس روزنار هو اقرب التعريفات الديناميكية لها حيث يقول هذا الاستشهاد عن تأثير العولمة (وتأسيسا على ذلك كان للمجال الثقافي ذو الصلة بالجوانب النفسية للعولمة اسبقية تزامنت مع بعض مجالاتها الاقتصادية وتداخلت مع اخرى او تقدمت عليها ، السياسية والاجتماعية- سلعة مثل السلع المادية تتداول في سوق يسودها الاقوى ثقافيا وبوسائل ايصال للمستهلكين ميسورة –القنوات الفضائية والالكترونيات والحواسيب والانترنت وغيرها –بقصد نقل الافكار والمباديء ونشر المعلومات لمستوى الشيوع بين جميع الناس ومن ثم صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها لزيادة معدلات التشابه او التجانس بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات في محصلة تبرز في اطارها وعلى مستوى النفس امكانية تشكيل وعي وادراك ومفاهيم قناعات عالمية الطابع)[1]

ان هدف التجانس والتماثل والتنميط هو هدف كامن في ايدلوجيا الاتصال اساسا ، وهو يعرض نفسه في كل وسائل الاعلام لمعطى بديهي يقول عنه الاستاذ يحي اليحياوي متحدثا عن ايدلوجيا الاتصال فيقول { المعطى الثاني فيكمن فيما نتصور في الطابع التوحيدي الذي تدفع به ايدلوجيا الاتصال وتجعل الافراد والمجتمعات بموجبه – كتلة موحدة منصهرة او يراد بها ان تنصهر في فكر واحد وثقافة واحدة ونموذج للتمثل واحد ، لا تتغيا ايدلوجيا الاتصال وفق هذا التصور خلق – انسان واحد- بمواصفات واحدة فحسب، بل تجنح في حالة تعذر ذلك الى استنبات مباديء وقيم من ذلك النموذج الليبرالي اساسا منذ مدة ،

---

(1) ن م

بغرض خلق ثقافة للتوافق والتراضي تضمن لهذا الفكر الانسياب بعدما تكون قد ضمنت له الارضية والفضاء) [1] .

وقد أكد هذه الحقيقة- التجانس والتشابه والتنميط – الدكتور البياتي معتبرا اياها من سلبيات العولمة الاعلامية فأشار الى ذلك بقوله (العولمة الاعلامية تسعى من خلال تكنلوجيا الثورة الاتصالية الى نشر مبدأ –التماثل- وتحميه ليصبح بذلك أمرا واقعا وتحويل المجتمع الى كتل متشابهة، تنميط الحياة اليومية بحكم فراغ ما يسمى بالخيال الجماعي وخوائه وظهور نمط واحد من الواقع المعيشي يتصف بالتماثل السكوني ....تنميط المشاعر الانسانية والتحكم في تشكلها وفق منطق معين من الاولوية والاهمية، فالتحكم الاعلامي في المشاعر البشرية وتحديد اهميتها وبرمجة اولويتها هو تحكم في الخيال الجماعي وبالتالي تحكم في ثقافات الشعوب)[2] وأخيرا فلا بد ان ننظر الى العولمة من منظور معلوماتي صرف، حيث نجد العولمة معلوماتيا او المعلومات العولمية عبر الانترنت خاصة انما تدور بآليات وتقنيات الثورة التقنية للمعلومات لتوصل مضامين ومفردات من يسيطر على هذه التقنيات والآليات، وهي الدول الليبرالية وطروحاتها على المستوى الاقتصادي والسياسي، وهذا ما أكده الدكتور نبيل علي الذي يطرح هذه المضامين بشكل دقيق حيث يقول {يفضل الكاتب بدافع من توجهه المعلوماتي ان يرى العولمة من منظور اكثر تأصيلا وأكثر صلة بالثقافة والمعلومات معا الا وهو منظور ثنائية الوجود الزمن والمكان، في البداية كانت –عولمة الزمن- باتباع توقيت جرينتش الشهير بعد ان

---

(1) التكنولوجيا والاعلام والديمقراطية ص40

(2) الاتصال الدولي والعربي ص96

كان لكل مدينة قبلة توقيتها الخاص بها، وجاءت تكنلوجيا المواصلات والاتصالات ممثلة في النقل الجوي والاتصالات السلكية واللاسلكية لتدخل المكان في دائرة العولمة والآن ماذا بقي ليدخل مضمار العولمة؟ لم يبق الا الاحداث التي تجري في اطار هذا الزمن وفي نطاق ذاك المكان وهو ما تسعى اليه عولمة هذه الايام ،في ان تشمل كل أنشطة الانسان وممارساته الاجتماعية، اقتصادية كانت او سياسية، تجارية كانت ام ثقافية، عامة كانت ام خاصة ،فهي تشمل ضمن ما تشمل حاليا عولمة المعاملات المالية والتجارية والازياء وموضات قص الشعر ورياضة الجري ووجبات الطعام بل عولمة الاجساد ايضا، حيث تسعى صناعة الرشاقة وادوية التخسيس الى ان تجعل من مقاييس جسد المرأة الكاليفورنية نمطا معولما تحلم به الفتيات والنساء، وحتى عالم الشر لم يحرم هو الآخر نصيبه من العولمة من جرائم المافيا والاختلاس وغسيل الاموال واغتصاب النساء وفساد الحكومات والمؤسسات، وهناك كثيرون ممن يعتقدون بشدة ان الجنس البشري لديه القدرة على بناء مستقبل لا على اوهام ايدلوجية سقيمة بل على مجموعة من القيم العامة المشتركة بين البشر جميعا)[1]

ويستشهد الدكتور نبيل علي بقول رئيس وزراء هولندا الاسبق الذي اعتبره افضل تلخيص للعولمة من منظور ثقافي معلوماتي حيث يقول(لم اجد تلخيصا للعولمة من المنظور الثقافي المعلوماتي افضل من ذلك الذي خرج به روند لوبرز رئيس وزراء هولندا الاسبق حيث اوجز فأوفى بعرضه ظاهرة العولمة في صورة مصفوفة رباعية –مصفوفة 2×2- كما اطلق عليها، ويقصد بذلك ان ظاهرة العولمة قد احدثها محركان اوليان

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص39-40

أديا بدورهما الى متحركين او ناتجين اوتأثيرين، **يمكن تلخيص المحركين الاولين في:**

أ - **المحرك الاول** : الابتكار التكنلوجي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أساسا.

ب- **المحرك الثاني** : سيطرة الليبرالية الجديدة، ويقصد بها انتصار ايدلوجية اقتصاد السوق الحر والنمط الاستهلاكي واعلام الترفيه والخصخصة وما الى ذلك، وتقدم الديمقراطية في هذا الاطار كتوأم لاقتصاد السوق الحر سندويتش آل جور هل لازلنا نذكره؟ واللذان يكونان معا استراتيجية النموذج الغربي للرأسمالية في صياغته الامريكية وهو النموذج الذي حظي بدفقة قوية أثر الانهيار المدوي للمعسكر الاشتراكي، ويؤكد مؤيدو العولمة انها ستعود بالخير على الجميع سواء من حيث النمو الاقتصادي والتقدم التكنلوجي او اشاعة الديمقراطية والدفاع عن حقوق الانسان)[1] .

2-العولمة الاعلامية عبر الانترنت

لاشك ان اعلام العولمة او عولمة الاعلام هي اوضح ما تعبر عنها الانترنت في معلوماتها، ويقصد بعولمة الاعلام كما يعبر احد الباحثين (الانفتاح المذهل على المعلومات وكسر الاحتكار الرسمي لها، إما عن طريق البث التلفزيوني العابر للحدود او شبكة الانترنت، ويمكن القول ان عولمة الاعلام هي عملية تهدف الى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الاعلام على تجاوز الحدود بين الدول والتأثير على المتلقين

---

(1) ن م ص41

الذين ينتمون الى ثقافات متباينة، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج اسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب للاطراف المهيمنة على صناعة الاعلام والاتصال من ناحية ثانية، وينطوي مفهوم عولمة الاعلام على مجموعة من الابعاد والمرتكزات الاساسية التي يوجزها عدد من الباحثين وهي :

1- أن عولمة الاعلام هي عملية متسارعة التغير وبالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد ،فهي تمر بمرحلة انتقالية وذلك لسببين رئيسين :

الأول: ان عولمة الاعلام تعتبر احد ابعاد عملية اوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة، ونظرا لعدم استقرار او تبلور عملية العولمة فإن هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحدد مسار تطور –بل ومستقبل- عملية عولمة الاعلام، ومجمل هذه الرهانات يقوم على تماثل جوهر عملية العولمة في مجالات الاعلام والاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة باعتبارها اسقاطا للحدود السياسية وتوحيدا ودمجا للاسواق وبالتالي وجود ارتباط وثيق وتأثيرات متبادلة بين هذه المجالات الاربعة والاعلام بما يعني ان النجاح في عولمة الاعلام يدعم من فرص نجاح العولمة والثقافة السياسية والعكس صحيح .

الثاني: ان عولمة الاعلام تعتمد في بعد مهم منها على نتائج الثورة لعقود قادمة وستدفعها الى الامام –التطبيقات- الجديدة أي الادوات في مجال الاتصالات والتي بدأت لتوها وسوف تستغرق تطوراتها مدة طويلة .

2- الترابط والتكامل بين مجالات الاعلام وتكنلوجيا الاتصال ومجتمع المعلومات بحيث اصبح من الصعب تعريف الاعلام والاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية، فالثورة في تكنولوجية الاتصال اوجدت وسائل جديدة في الاتصال مثل البث التلفزيوني الفضائي والتكنولوجيا الرقمية التي وفرت امكانيات هائلة لاستقبال الصوت والصورة بدقة وبنقاء غير مسبوقين، وكذلك وسائل الاعلام المرئية والتفاعلية والفديو تحت الطلب والصحافة الالكترونية عبر شبكة الانترنت ووسائل الاتصال المحمولة علاوة على التطبيقات المختلفة للوسائط المتعددة، وقد ارتبطت هذه الوسائل والتطبيقات بالمعلوماتية المتعددة وبداية الدخول في مجتمع المعلوماتية الذي لم تتبلور معالمه بعد .

3- النمو الهائل في اقتصاديات الاعلام والاتصال والمعلومات، وقد أفضى هذا النمو الى مزيد من التداخل بين عولمة الاعلام وعولمة الاقتصاد، فعولمة الاعلام ليست مجرد تعظيم في قدرات الاعلام على الدعوة الى عولمة الاقتصاد او الثقافة او ما يعرف أحيانا بنشر أيدلوجيا العولمة، أي انه ليس مجرد اداة ايدلوجية بل عولمة الاعلام اصبحت جزءا اصيلا من عولمة الاقتصاد، وذلك بالنظر الى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والاعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والاسواق العالمية، فالاعلام اصبح صناعة وقطاعا مؤثرا في الاقتصاد العالمي ويمثل هذا القطاع 40٪ من الانتاج الصناعي العالمي ويضم أكثر من 60٪ من اليد العاملة في العالم الصناعي .

4- توسيع الخيارات والبدائل الاعلامية المتاحة امام الجمهور، فقد وفرت تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية وبصورة غير مسبوقة مئات

القنوات التلفزيونية ومئات المحطات الاذاعة وعشرات الصحف والمجلات المحلية والدولية فضلا عما توفره من وسائل الاتصال الاحدث والمرتبطة بالمعلوماتية .

ويركز خطاب العولمة على ان آليات السوق ومدى اقبال الجمهور بغض النظر عن جنسيته او ثقافته، هي التي ستقود تطور وسائل الاتصال والاعلام، كما يؤكد ان المنافسة ستكون دائما في مصلحة الجمهور الذي سيضمن الحصول على خدمات اعلامية جيدة تلبي احتياجاته وباسعار رخيصة، والمتأمل في اطروحات هذا الخطاب يكتشف بسهولة انه يتعامل مع الاعلام ومنتجات الثقافة على اساس كونها سلعا يجري تداولها في سوق موحدة لاتوجد فيها خصوصيات سياسية او ثقافية، فالافضلية للسلعة او الخدمة الاجود والارخص.

5- تقليص دور الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الاعلام والاتصالات المحلية والدولية لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية، وذلك من خلال الدعوة الى تغيير التشريعات والنظم التي تعيق التدفق الحر للمعلومات والصور والرموز بين الدول او تمنح الحكومات ادوارا ووظائف اعلامية كالتخطيط والرقابة والمنع والمصادرة، وفي هذا السياق تطرح عولمة الاعلام مهام خصخصة وسائل الاعلام والاتصال وانهاء دور الدولة في مجالات الاعلام خاصة في دعم وسائل الاتصال المحلية او الانتاج الاعلامي)[1]

ان عولمة الاقتصاد تتداخل مع عولمة الاعلام حتى انهما تتبادلان المواقع ولهذا فقد حصل في ظل العولمة تحالف بين الاقتصاد والاعلام لم

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص90-91

يكن مسبوقا من قبل يقول الدكتور نبيل علي (في ظل هذا التحالف الجديد بين القوى الاقتصادية والقوى الرمزية تاهت الحدود الفاصلة بين عولمة الاقتصاد وعولمة الاعلام، وصارتا تتبادلان موقعي التأثير والتأثر بصورة مباشرة وغير مباشرة، سافرة وغير سافرة، وفي حين ترى عولمة الاقتصاد في عولمة الاعلام أمضى أسلحتها تسعى عولمة الثقافة من جانبها الى ان تتخذ من عولمة الاعلام ساحة لحوار الثقافات وتعددها وتنوعها، وليس من قبيل المغالاة القول ان مصير المجتمع الانساني باسره يتوقف على من ستكون له الغلبة في النهاية على جبهة العولمة الاقتصاد ام الثقافة)[1]

على ان من مظاهر العولمة هو خضوع الاعلام والاتصال الى الاحتكار، فمن المعروف ان هناك اربع او خمس وكالات انباء عالمية والمعروفة بالكبار تحتكر 80٪ من فيض المعلومات، وهناك اربع مجموعات رئيسية تتحكم في 90٪ من الصحف البريطانية، وهناك احتكار عدد قليل من شركات الاعلام المتعدية الجنسية للارسال الجماهيري المرئي والسمعي والانتاج السينمائي والتلفزيوني، وقد تبعه في نهجه الاحتكاري تلفزيون الكابل، وهناك 10٪ من شركات الاعلان الامريكية تسيطر على 80٪ من اجمالي الانفاق الاعلاني في الولايات المتحدة والذي يصل الى 250 مليار دولارسنويا .

فإذا ما اتجهنا الى الانترنت التي طالما تباهت بحرية تبادل المعلومات ومجانية الحصول عليها ها هي الاخرى تطولها يد الاحتكار البغيض حيث تشير الاحصائيات الى ان مائة موقع فقط على الانترنت

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص349

تسيطر على 80٪ من اجمالي زوار مواقعها تاركة الخمس فقط لتتنافس عليه ملايين المواقع الاخرى، ولا جدال في ان اخطر انواع الاحتكار هو ذلك الخاص باحتكار المحتوى –مضمون الرسالة الاعلامية- من الموسيقى والاغاني والاخبار والافلام، فالمحتوى أهم مقومات صناعة الثقافة ومن يسيطر عليه يصبح هو القابض على زمام اللعبة الاعلامية بلا منازع .

لقد أدركت القوى الرأسمالية المغزى الاقتصادي للمعلومات بعد ظهور الانترنت وسرعة انتشارها بصورة لم تعرفها من قبل في موجة من الاندماج وتركيز رأس المال هدفها من وراء ثنائية الاحتكار والاندماج هذه احكام السيطرة الكاملة عالميا على صناعة المعلومات بعناصرها الثلاثة –محتوى المعلومات –معالجة المعلومات –توزيع المعلومات –في هذا الجو العولمي اعلاميا واقتصاديا فرضت شبكة الانترنت نفسها اعلاميا ، فهي بجانب كونها شبكة الشبكات فهي بالقدر ذاته وسيط الوسائط الاتصالية بلا منازع، وتتجلى عظمة الوسيط الالكتروني في قدرته على احتواء الوسائط الاخرى لمصادر للمحتوى بالنسبة له، وبينما كانت عظمة التلفزيون في احتوائه للراديو تقوم عظمة الانترنت على احتوائها الصحافة والاذاعة والتلفزيون والبحث عن المعلومات، ولا يستقيم اليوم حديث في شأن الاعلام والاتصال دون تناول القضايا التي تطرحها الانترنت كوسيط اعلامي، ولعل خير مثال يمكن ان نأخذه على دور الانترنت في الاعلام المعولم اليوم هو الصحافة الالكترونية فما هي هذه الوسيلة الالكترونية التي تستخدم الانترنت كوسيلة لمخاطبة الجمهور ؟ وما هي ايجابياته ودورها في اطار الاعلام المعولم ؟ ومن ثم ماهو المدى الذي يمكن ان تصل اليه مستقبلا في

صراعها او اختلافها مع الصحف الورقية المطبوعة؟ وفي تمظهر اعلام العولمة عبر الانترنت بشكل الصحافة الالكترونية صورة واضحة عن تداول المعلومات في عصر العولمة عبر الوسيط الاعلامي الاكبر الا وهي الانترنت ،

سنحاول ان نستعرض آخر مفردات ومعاني هذه الصحافة عبرما قدمته آخر ندوة عربية وعالمية في مؤتمر صحافة الانترنت التي عقدت في جامعة الشارقة –كلية الاتصال –عام 2005 عبراوراق خبراء وباحثين عربا وأجانب .

الصحافة الالكترونية :

اذا اردنا ان نتعرض لمعنى الصحافة الالكترونية فلابد ان نفهم عموم معنى النشر الالكتروني، حيث رأينا من يعرف النشر الالكتروني بأنه (استخدام الاجهزة الالكترونية في مختلف مجالات الانتاج والادارة والتوزيع للبيانات وتسخيرها للمستفيدين، وهو ما يماثل تماما النشر بالوسائل والاساليب التقليدية ، ويتم توزيعها بالوسائط الالكترونية كالانترنت ،

بفضل هذه التقنية الحديثة في النشر استفادت الصحف والمطبوعات الدورية من التقدم التكنولوجي الذي وفرته الانترنت لتحسين مضمونها ، وزيادة عدد قرائها على مستوى العالم من خلال تغيير طرق التوزيع بواسطة الشبكة وبمشاركة جهاز الحاسوب، وهذه الطريقة تتميز بالسرعة العالية والانتشار السريع .

دخلت كثير من الصحف الى هذه الشبكة فظهرت في بداية الامر في البلدان الصناعية وكانت البدايات الاولى في الولايات المتحدة الامريكية ثم تلتها الدول الاوربية وانتشرت تدريجيا في باقي العالم بما

فيه العالم العربي)[1]

أما ماهية الصحافة الالكترونية فقد تعددت التعاريف اذ نجد ان الصحافة الالكترونية تجمع بين مفهوم الصحافة ونظام الملفات المتسلسلة والمتتالية في منشور الكتروني دوري يحتوي على الاحداث الجارية، سواء المرتبطة بموضوعات عامة او موضوعات ذات طابع خاص ويتم قراءتها من خلال الكمبيوتر، ان الصحف الالكترونية هي تلك الصحف المكتوبة والتي يعاد نسخها على الانترنت وتتميز عن النسخة المكتوبة باستعمال كبير للالوان والصوت والصورة، وأحدثت الصحيفة الالكترونية ثورة في طريقة مطالعتها ،وهذا باستعمالها –الخبر الرقمي- ، وكل هذا بهدف جعل الاخبار في متناول القراء عبر كمبيوتر مجهز بموديم وذلك عن طريق اعداد نشرة يعاد صياغتها في كل مرة يتم تسجيل تطورات للاحداث ،

وهناك من يعرفها بانها الصحافة التي تستعين بالحاسوب في عملة الانتاج والنشر الالكتروني وهناك من يعرفها من حيث النوع :

- الصححف على الخط التي يعاد نشرها في الانترنت، أي هي مجرد نسخ للصحف المكتوبة وهي تابعة لها اقتصاديا ومهنيا من حيث الشكل والمضمون

- الصحف الالكترونية المستقلة وهي غير تابعة للصحف المكتوبة وليس لها مقابل ورقي)[2]

---

(1) الصحافة الالكترونية في الجزائر جمال عجمي –بلقاسم بن روان ص6

(2) ن م ص8

مسيرة وتطور الصحافة الالكترونية :

يبدو ان هناك اختلاف في البدايات الاولى للتعامل الالكتروني مع النشر حيث ان البعض يرجع هذه البدايات الى عام 1976 عند ظهوره كثمرة تعاون بين مؤسستي بي بي سي واندبندت برود كاستينغ، فالنظام الخاص بالمؤسسة الاولى ظهر تحت اسم سيفاكس وعرف نظام المؤسسة الثانية باسم اوراكل، وفي عام 1979 ظهرت في بريطانيا خدمة ثانية تفاعلية عرفت بخدمة فيديو تكست مع نظام بريستل قدمتها مؤسسة ب ت ا بريتش تلفون اوثوريتي، وبناء على النجاح الذي احرزته المؤسسات المذكورة في توفير خدمة النصوص التفاعلية للمستفيدين، **بدأ عدد من المؤسسات الصحفية الامريكية في منتصف عام 1980 العمل على توفير النصوص الصحافية بشكل الكتروني الى المستفيدين عبر الاتصال الفوري المباشر ومن بين هذه الشركات:**

- نايت ريدورز فيوترون
- خدمة تايمز وميرور
- شركة ترينتكس التي تعتبر ثمرة المشاركة بين أي بي ام و سي بي اس، محاولات هذه الشركات لم تلق النجاح المطلوب فحسب بل تكبدت خسائر مالية قدرت في ذلك الوقت بحوالي 200مليون دولار ونتيجة لذلك توقفت المشاريع الخاصة بهذه الشركات الصحفية بعد عام واحد، **ويرجع المتخصصون البداية غير الموفقة للصحافة الالكترونية الى اسباب عدة أهمها:**

- عدم توافر تقنيات متطورة بما فيه الكفاية تسمح بوصول غير مكلف وسهل الى المحتوى الالكتروني

- الاهتمام بهذا النوع من الخدمات الاعلامية لم يلق رواجا من المستفيدين والمعلنين على حد سواء غير ان الوضع قد تغير كليا مع بداية التسعينات من القرن الماضي والتي حملت معها تطورات هائلة لا على مستوى تقنيات النشر الالكتروني والتخزين والمعالجة والاسترجاع فحسب ،وانما على نظرة وموقف مختلف المستفيدين فرضته الحاجة الملحة الى الخدمات الالكترونية وإذا ارتبط نجاح خدمة تيليتكس باعتمادها على جهاز التلفزيون فان نجاح الصحافة الالكترونية في انطلاقتها الثانية مرتبط مباشرة بتوفر اجهزة الكمبيوتر وتطور البرامج التي تسهل الوصول اليها والتعامل معها ،لقد بدأت اولى التجارب لاطلاق صحيفة الكترونية في الولايات المتحدة ممثلة في منبر شيكاغو بداية عام 1992 لكن اليومية الالكترونية التي تمثل بحق مدرسة كانت ميركوري نيوز التي ظهرت عام 1993)[1] .

لقد بدا تطور صحافة الانترنت عبر تجارب التليكست والفديوتكس في هيئة الاذاعة البريطانية والتجارب التفاعلية الاخرى في مجال نقل النصوص شبكيا ، ومن تطور قواعد البيانات الصحفية الشبكية ومن استخدام الكمبيوتر في عمليات ما قبل الطباعة في بداية السبعينات من القرن الماضي ثم تجارب تقديم خدمات الصحافة بالهاتف التي ميزت عمل شبكة كمبيو سيرف وغيرها بدءا من عام 1980 التي بدأ بعدها ظهور الصحافة الالكترونية.

---

(1) الصحافة الالكترونية العربية –الواقع والآفاق ص11

ويرى البعض انه في بداية التسعينات بدات المؤسسات الصحفية تترك خدمات الفديوتكس الى الخدمات الكمبيوترية الشبكية بالطلب الهاتفي من خلال اميركا اون لاين وبرودغي وكمبيوسيرف وفي عام 1990 ظهر في سيرن بسويسرا اول النماذج التجريبية للويب التي انطلقت في العام اللاحق وحتى الى هذا التاريخ 1991 لم تكن هناك اية صحيفة على الانترنت ثم بدأت بعض المؤسسات الاعلامية التي اخذت علما بالشبكة الجديدة في ايجاد مواقع لها في خدمات الانترنت المختلفة التي ليس نت بينها شبكة الويب .

ومن أبرز الجهات الصحفية التي أنشأت موقعا على الشبكة الامريكية هي شيكاغو اون لاين في مايو 1992 كأول صحيفة الكترونية صدرت بواسطة شيكاغو تربيون وفي العام اللاحق 1997 استضافت شبكات كمبيوسيرف وامريكا اون لاين عددا جديدا من الصحف [1]

وفي ابريل من عام 1996 اعلن اتحاد الصحافة الامريكي انه اصبح هناك 175 صحيفة يومية في امريكا الشمالية موجودة على الشبكة والعدد في انحاء العالم بلغ 775 اصدارة صحافية، وقد بلغ عدد الصحف الالكترونية حوالي 3250 موقعا بحسب احصاء احدى المجلات، وفي عام 1999 اصبح هناك 2800 موقعا وقد وصل عدد الصحف الالكترونية الى خمسة آلاف صحيفة في احصاء 2004 .

ان هذا التاريخ التوثيقي قد لا يعني كثيرا لانه مسألة تاريخية ولكن الذي يعني هو المراحل التي مرت بها هذه الممارسة على مستوى

---

(1) التطبيقات التقليدية والمستحدثة للصحافة العربية على الانترنت ص3

العمل الصحفي ذاته، حيث ان هناك من يمنهج هذه المراحل بثلاث، ويلخص احد الباحثين تطور هذه الصحافة في المؤتمر الثالث لصحافة الانترنت عام 2001 بجامعة تكساس باوستن هذه الموجات بقوله

- في الموجة الاولى1982- 1992 سادت في البداية عدة تجارب للنشر الالكتروني الشبكي من نوع الفديو تكس ثم آلت الامور في النهاية الى شبكات ضخمة مثل كمبيوسيرف

- الموجة الثانية من 1993- حيث اخذت المؤسسات الاعلامية علما بالانترنت فبدأت بالتواجد فيها

- الموجة الثالثة التي بدات قريبا هي مرحلة البث المكثف التي تشي بالقوة في التطبيقات الاعلامية كما تنبيء بالربحية اكثر من المرحلتين السابقتين .

ان المحتوى الاخباري لصحافة الانترنت مر ايضا بثلاثة مراحل

في المرحلة الاولى كانت صحيفة الانترنت تعيد نشر معظم او كل او جزء من محتوى الصحيفة الام وهذا النوع من الصحافة ما زال سائدا

في المرحلة الثانية : يقوم الصحفيون باعادة انتاج بعض النصوص لتتواءم مع مميزات النشر في الشبكة وذلك بتغذية النص بالروابط والاشارات المرجعية وما الى ذلك وهذا يمثل درجة متقدمة عن النوع الاول

في المرحلة الثالثة يقوم الصحفيون بانتاج محتوى خاص بصحيفة الانترنت يستوعبون فيه مميزات النشر الشبكي ويطبقوا فيه الاشكال الجديدة للتعبير عن الخبر وتشهد هذه المرحلة التي نعايشها حاليا تطورا

مهما يتعلق بايجاد الوسائل التي تسهل اكثر عملية الحصول على الاخبار وتحسين طرق توزيع الصحف وتحصيل الاشتراكات .

أنواع الصحافة الالكترونية :

يذكر الباحثون ان اصناف وانواع الصحافة الالكترونية العربية على شبكة الانترنت على ثلاثة انواع[1]

الاولى: هي المواقع التابعة لمؤسسات صحفية تقليدية كالصحف وبعض الفضائيات، وتعد امتدادا لها وهذه تعد نسخا الكترونية من الصحف المطبوعة تحتوي على معظم ما ينشر على صفحات تلك الصحف، ويندر ان تحدث هذه المواقع خلال اليوم، ولا يعمل بها صحفيون وانما مبرمجون ينقلون ما في الصحف المطبوعة الى الموقع الالكتروني، وهناك مواقع تفاعلية لفضائيات مثل قناة الجزيرة و ب ب س العربية وهذه تحوي اخبارا وتحليلات ونصوص مقتطعة مما يذاع عبر الاثير وقد تحتوي على اخبار خاصة بالموقع الالكتروني وقد يعمل محررون ومترجمون صحفيون في هذا الموقع لتحديثها

الثانية : المواقع الاخبارية كالبوابات الاعلامية امثال اريبيا اون لاين وبلانيت ارابيا ونسيج وغيرها ، وهي مواقع الكترونية متخصصة تنشر اخبارا وتحليلات وتحقيقات اعدت خصيصا النشر على شبكة الانترنت وتحدث المواد على مدار الساعة ويعمل في هذه البوابات محررون ومراسلون مهنيون يمكن تسميتهم بصحفيي الانترنت

الثالثة : الصحف الالكترونية البحتة التي ليس لها صحيفة مطبوعة ، وتدار عادة بجهد فردي وتغطي مجالات الاخبار كافة من سياسة واقتصاد ورياضة وسينما وموسيقى، وتحاول ان تستفيد من

---

(1) الصحافة الالكترونية د عبد الامير الفيصل ص2

تقنيات تصميم الصفحة لمزيد من التنوع وهي صحف يومية يتم تحديث موادها الاخبارية آنيا وصفحاتها يوميا .

لقد تحررت الصحافة الالكترونية من العائق الذي كانت تعاني منه وسائل العلامةالتقليدية وهي ضيق المساحة التحريرية بالنسبة للصحف اليومية والمجلات الورقية وضيق الوقت بالنسبة لنشرات الاخبار الاذاعية والتلفزيونية، هذا التحرر رشحها لتحتوي عددا غير محدد من المواد الاعلامية، والقاريء الذي يعاني في السابق من الندرة الناجمة عن قيام السلطة سواء كانت الحكومة او سلطات رأس المال او سلطة الاعلاميين بممارسة المنع والحذف **اصبح القاريء يعاني من تخمة غير مسبوقة، هذه التخمة طرحت على القاريء اشكاليتين:**

الاولى: التراتبية التي تفيد ترتيب اهمية واولوية المادة الصحفية بالنسبة له

الثانية: عدم وجود مرشح ومفلتر للمواضيع فتراكم الاحداث والافكار والآراء والمواضيع التي يتجاور فيها الجديد مع القديم بوصلة داخل الصفحة او خارجها في الصحافة الالكترونية ويتداخل فيها الغث والسمين تجعل القاريء تائها في غابة من المواد تفتقد الى مرشد او دليل.

وهكذا نجد ان البحث عن الانواع الصحفية المعروفة التي سيطرت على التعبير الاعلامي لعدة قرون في وسيلة اتصال جديدة قد يؤدي الى طريق مسدود وذلك بالنظر الى العاملين التاليين [1]

1- ان كل وسيلة اعلامية جديدة تخلق فضاء اعلاميا جديدا خاصا بها، لذا تستعين بالانواع الصحفية التي كانت تعمل بها وسيلة

(1) الصحافة الالكترونية احادية الشكل وتعدد المضلمين ام انواع صفية جديدةو ص9

الاعلام التي سبقتها وتحاول ان تطورها وتكيفها مع خصوصيتها وفضاءها الاعلامي الجديد وتستحدث انواعا جديدة اكثر استجابة لادوارها ووظائفها النوعية والاكثر ملاءمة لخصوصيتها التقنية، هذا ما حدث مع الاذاعة ثم التلفزيون، ويحدث الآن مع الصحافة الالكترونية التي انتعشت في شبكة الانترنت، فالخصوصية التقنية التي تتمتع بها الصحافة الالكترونية سمحت لها ببلورة احدى الانواع الصحفية التي كانت تستعمل بشكل أقل من بقية الانواع الصحفية، ان الملف الصحفي الذي يعني تناول قضية او حدث معين من مختلف الجوانب لتسلط عليه الاضواء من كل الجهات ويشترك في انجازه اكثر من صحافي باستغلال جميع الوثائق للدراسات والمصادر

2- ما زلنا ننظر الى وظائف الصحافة نظرة -ثابتة- مستمدة من الماضي الذي كان فيه العرض يسيطر على اقتصاديات وسائل الاعلام، ان تكنلوجيةالاتصال الحديثة قد اعادت هيكلة هذه الوسائل على اساس هيمنة الطلب فالتحدي الذي كان مفروضا على وسائل الاعلام بفعل ضغط السوق والمنافسة تمثل في عرض ما يناسب متطلبات الجمهور وحاجياته وذوقه، لقد زال هذا التحدي في ظل وسائل الاتصال الحديثة واصبح بإمكان أي وسيلة تتمتع بعدة التفاعلية ان تتجه وفق ما يمليه عليها الطلب، فسيادة الطلب معناه انفتاح افق لتطوروسائل الاتصال الفردية اكثر من الجماهيرية بمعنى ان القاريء على سبيل المثال اصبح يشكل صحيفته وفق ما يريد ويحتاج أي لا يقرأ الا الصفحات الرياضية من الصحف الالكترونية او الصفحات الثقافية على سبيل المثال .

هكذا تشذر جمهور وسائل الاتصال الجديدة وجنح نحو الفردانية، هذا التغير الواضح في القراءة طرح ضرورة التفكير في مسألة وظائف الصحافة التي تنهض على اساسها الانواع الصحفية ، فهل يعقل ان تظل الانواع الصحفية الكلاسيكية التي سادت في وسائل الاعلام الكلاسيكية ذاتها في وسيلة اعلامية جديدة يتسم جمهورها بأنه طرف منتج فيها بشكل مباشر من خلال المشاركة في منتدياتها او بشكل مباشر من خلال وجود جسور لتفاعل الجمهور مع الصحفيين والكتاب الذين يأخذون في الغالب برأيه وأفكاره ؟وفي هذا الصدد يمكن الاشارة الى بعض البحوث الميدانية مثل تلك التي انجزتها مؤسسة MIDDLEBERG ROSS في 2001 والتي تؤكد بان 70٪ من الصحفيين في الدول المتقدمة يتحاورون مع القراء عبر شبكة الانترنت ؟

ان الحديث الصحفي الذي يتحول بفضل TALK BACKالى حوار مع الجمهور ودردشة القراء مع الكاتب او الشخصية يشكل السمة البارزة للصحافة الالكترونية، اضافة الى منابر النقاش التي تفتح للجمهور ولكل المشتركين في الانترنت الراغبين في تبادل الافكار والمعلومات، ربما كانت وراء اعتقاد البعض بأن الصحافة الالكترونية ليست وسيلة اعلامية بل فضاء رمزي يلتقي فيه الناس بشكل اعتباري لتبادل الآراء والافكار والمعارف، ان اللقاء الذي كان في السابق شبه مستحيل في ظل التباعد الجغرافي والتفاوت الزمني والتفاوت الاجتماعي والثقافي والعمري قد حصل .

الصحافة الالكترونية والصحافة الورقية

تنافس واصدام ام تكامل وتكيف في مؤتمر لاتحاد الصحف الامريكية ابلغ راسل نيومان الناشرين ان التقنية الحديثة تجعل من

النهاية المحتملة للصحف التقليدية امرا لا مفر منه، هكذا تنبأ استاذ الاتصالات في جامعة فليشر الامريكية، وبدأت تنبؤات انهاء وجود الصحافة التقليدية فمن قائل انها ستنتهي عام 2018 وهو ما ذهب اليه نيومان، ومن قائل انها ستنتهي عام 2040 وهو ما ذهب اليه فيليس ميلر الذي كان يعتقد ان آخر مستخدم لجريدة مطبوعة سيكون في شهر ابريل من عام 2040.

وهناك من يرى انه في غضون خمسة عشر عاما المقبلة سيضطر عدد من الصحف الى التخلي التدريجي عن الطبعات الورقية، وهناك البعض ممن يرى انه مع مايشهده الجمهور من شيخوخة متسارعة الوتيرة للصحافة الورقية فسيتوقف البعض عن اصدار الطبعة الورقية من يوم الاثنين الى يوم الخميس مع استمرار الصدور على الانترنت والاحتفاظ بالطبعة الورقية خلال عطلة نهاية الاسبوع .

ان هذه الاستنتاجات والتوقعات جاءت نتيجة دراسات في المجتمعات الغربية، وإذا كانت اول صحيفة عربية تخلت عن طبعتها الورقية لحساب طبعتها الالكترونية هي صحيفة الشعب المصرية الا ان هذا لا يعني ان كل الكتاب العرب والصحفيين يؤيدون هذه التنبؤات وانما تتعدد آراؤهم فالبعض[1] يقول : أتوقع للصحافة الالكترونية التطور والتقدم وللصحافة الورقية الانقراض خلال بضعة اعوام او على الاقل سيتم الاستغناء عنها تماما، والبعض الآخر يقول : لا أعتقد ان الصحافة الالكترونية سوف تنافس الصحافة الورقية فالكلمة المكتوبة ثقافة مختلفة لها سحرها الخاص وعشاقها الذين لا يستطيعون التخلي عنها ..ويضيف صاحب هذا الرأي ، ،حين بدأت الاذاعة انتابنا الخوف

(1) الصحافة الالكترونية العربية الواقع والآفاق ص16

على الصحف وحين بدأ البث التلفزيوني انتابنا الخوف على الصحف والاذاعة، وحين ظهر الفديو والكمبيوتر والفضائيات كان خوفنا ينصب على ان تلك التقنيات سوف تزيح الكلمة المكتوبة وتنزلها عن عرشها ولكن هذا لم يحدث وبقي لكل وسيلة اعلامية دورها على مر السنين ولكن يمكننا ان نجزم بان الصحافة الالكترونية عملت وتعمل على إثراء الصحافة الورقية، وأن عالم الانترنت سوف يمكن الصحفي من تقديم الخبر والمعلومة والصورة والاحصاء بالشكل الذي يدعم مادته الصحفية وبتعبير آخر ان العلاقة بين الوسيلتين علاقة تكاملية ومن الصعب ان تطغى احداهما على الاخرى .

وهناك رأي اكثر عمقا في تحليله يذهب الى االستحالة نهاية الصحافة المكتوبة وخاصة في عالمنا العربي مستندا الى ان الاعلام الالكتروني هو وسيلة نشر كما ان الطباعة على الورق وسيلة نشر ولايوجد صراع بين الوسائل بمعنى ان تلغي واحدة الاخرى ولكن توجد منافسة في احيان ويوجد تكامل في احيان اخرى، وفي تقدير صاحب هذا الرأي انه لن تحل الصحافة الالكترونية بدلا من الصحافة المطبوعةلان المواطن العربي يثق اكثر في الخبر المنشور في صحيفة ورقية حتى لوكانت محدودة التوزيع .

وفي بحث ميداني على عينة من الاساتذة العرب في جامعة الشارقة يبحث احد الباحثين هذه المسألة تحت عنوان العلاقة بين الصحافتين فيقول(بدأ تأثير الثورة المعلوماتية التكنولوجية يظهر على صناعة الطباعة والنشر وان بداية العقد الاول للقرن الحادي والعشرين يشهد اتساعا متزايدا للصحيفة الالكترونية مقابل الصحيفة التقليدية التي سادت لخمس قرون ان الصحيفة الالكترونية تحمل قوة جذب وابهار جديدة تساعد على انتشارها على حساب تلك التقليدية الحالية

لانها تستخدم الوسائط الاعلامية المتعددة ، ، ،فهي تتيح لمستخدمي الشاشة ممارسة اكثر من حاسة خصوصا البصر والسمع بل واللمس ايضا فالقاريء يستطيع ان يختار ما يريد ويقرأ ما يحب الاطلاع عليه ويرى الصور بألوانها الجذابة ويستمع في الوقت نفسه الى الاصوات التسجيلية ويشاهد الافلام المنقولة عبر الفديو كل ذلك في عملية سريعة واحدة لم تستطع ان توفرها له من قبل وسائل الاعلام المختلفة الصحافة المكتوبة والاذاعة المسموعة والتلفزيون المرئي يقول جون راسل احد كبار الاذاعيين البريطانيين في الب ب س ان الخطر الاكبر يهدد الصحيفة اليومية والاسبوعية يأتي مباشرة من التكامل الحاصل بين تكنولوجيا بين التلفزة المتطورة وتكنلوجيا الكمبيوتر هذا التكامل قد يقدر في زمن ليس ببعيد على اختراق الخاصيتين الاساسيتين اللتين تهددان الصحيفة اليوم.

1- التوسع في كشف الاخبار دون الارتباط بعامل الوقت المحدد نسبيا في نشرات الاخبار او البرامج الخبرية

2- استمرار حضور الصحيفة في متناول القاريء مما يسمح له بالتصفح والمراجعة والاستغراق في التأمل من دون الارتباط بسلطة اللحظة والوقت)[1]

ويعقد الكاتب فصلا عن اتجاهات العلاقة بين الصحيفتين الالكترونية والمطبوعة حيث انه يرى ان في ذلك ثلاثة اتجاهات:

1- اتجاه يذهب الى ان الصحافة الالكترونية بما لها من امكانيات كثيرة والصحف المطبوعة بما فيها من سلبيات يجعل السيادة للصحافة الالكترونية

---

(1) التعرض للصحافة الالكترونية والمطبوعة ص10

2- واتجاه ثاني يذهب الى العكس ويطرح فكرة التعايش بين النوعين لاسباب عديدة ويقدم الادلة على افضلية الصحافة المطبوعة احيانا على الصحافة الالكترونية

3- واتجاه ثالث هو اتجاه حيادي لا يرى ان أي من الصحافتين ستقضي على الاخرى وستندمج الصحافتان مع تكيف خاص للصحافة المطبوعة التي يرى انها ستتجه الىالتخصص والمحلية ويبرر هذا الرأي الاندماجي بين الصحافتين باسباب اقتصادية حيث يقول:

1- ان دور النشر الصحفي في العالم باسره تتجه الى تنويع نشاطاتها الاعلامية وذلك بدخول الراديو والتلفاز والمطبوعات المتخصصة واعداد المؤتمرات واستغلال الانترنت

2- ان العمل المشترك بين صناعتي النشر التقليدي والالكتروني هو المحتوى المتميز فمن غيره لا تنجح مطبوعة ولا ينتشر تلفاز ولا يستمر موقع على الانترنت

3- اضافة الى المحتويات فان دخول شركات النشر التقليدية عالم النشر الالكتروني يعتمد على نجاح وانتشار الاسم التجاري عند المستفيد فظهر اسلوب الترويج المتقاطع حيث يقوم المطبوع الالكتروني بالترويج للموقع الالكتروني الشقيق والعكي بالعكس .

لقد توصل الباحثون في هذا المجال الى خلاصة تقول { على الرغم من الجدلية القائمة التي ينشغل بها الاعلاميون وغيرهم في بقاع العالم المختلفة ومن بينها العالم العربي حول تحديات احد افرازات هذه الثورة أي شبكة الانترنت واحتمالات تضييقها الخناق على الصحافة الورقية او التقليدية لصالح الصحافة الالكترونية ، فان التجارب

الناجحة والمتميزة في الغرب تؤكد حقيقة ان الصحافة الورقية مهددة لا محالة ان لم تعبر جسر التحولات الالكترونية في عصر المعلومات الى الضفة الالكترونية على الانترنت بسلام، كما ان الصحافة الالكترونية لا يمكنها التطور والانتشار بدون انحسار مساحة الامية في مفهومها الواسع .

ان سير الصحافة التقليدية في اتجاه الاستثمار في المحتوى الالكتروني سيترتب عليه ولم لا ايجاد افكار استثمارية جديدة يحمي فيه الوجود الالكتروني للنسخ الورقية لامرين يتأكدان يوما بعد يوم اولهماما يكتنف النسخ الالكترونية من فوائد لا تستطيع ان تأتي بها النسخ الورقية، أما الآخر فهو انقلاب الناس الى نمط حياة الكترونية جديدة تتحول فيها طرائق معيشتهم التقليدية ومن بينها حصولهم على الخبر والمعلومة ،والانترنت بالنسبة للصحف الورقية على وجه الخصوص هي في الواقع سلاح ذو حدين : فإما ان تكون خطرا محدقا بها بحيث تفقد موقعها التقليدي في السوق، وإما أن تكون فرصة عظيمة تتمكن من خلالها احتلال مواقع واسواق جديدة بسرعة لم تكن ممكنة ابدا ضمن معطيات البيئة التقليدية ، ، وعليه فالعلاقة بين الاعلام التقليدي والاعلام الالكتروني ليست ابدا علاقة قائمة على قاعدة انهاء احدهما حتى يستمر الآخر، وإنما هي في رأيي علاقة تنافسية في جزئياتها وتكاملية في عمومياتها ، ، نجاح علاقة التنافس والتكامل هو شرط ضروري لبروز هيئة اعلامية عربية تأخذ بأسباب الحاضر دون ان تتنكر للمستقبل)[1] .

---

(1) الصحافة الالكترونية د اجقو علي ص23

ان القاء نظرة على انخفاض نسبة القراء للصحافة التقليدية ولجوء الصحف الى الاستفادة والاستعانة بتقنيات الانترنت لرفع معدل القراء والقراءة لصحفهم يعطينا دليلا آخر على الاهمية الاستثنائية للصحافة الالكترونية ولدور الانترنت في تداول المعلومات في عصر العولمة، حيث تقول الاحصائيات[1] بان التغيرات التي شهدتها علاقة الجمهور بالوسائل الاتصالية قد ادت الى تناقص اعداد القراء للصحف في مختلف انحاء العالم وبالذات في الدول المتقدمة التي تتوافر فيها خيارات اتصالية متعددة، فعلى سبيل المثال ظل الرقم الاجمالي لتوزيع الصحف الامريكية اليومية مستقرا عند حوالي 59 مليون نسخة خلال العوام 1960- وحتى اوائل 1995 برغم ارتفاع عدد سكان الولايات المتحدة من 180 مليون الى 260 مليون خلال المدة نفسها مع انخفاض هذا الرقم ليبلغ 56 مليون نسخة يوميا نهاية عام 2002، وعلى الصعيد الفردي للصحف الامريكية تشير ارقام الهيئة المهنية الامريكية لمراقبة النشر الى ان جريدة نيويورك تايمز لوحدها فقدت 42٪ من قراء عددها اليومي و58٪ من قراء عددها الاسبوعي خلال عام 1969- 1997. وفي الاتجاه ذاته يشير مركز الصحافة الاوربية الى ان معدل القراء في اوربا يتناقص ولذلك فقد خسرت الصحافة الاوربية خلال عام 1997 وحده 12 مليون قاريء

لقد تحولت هذه التحديات الى سعي الصحافة بوجوب الاهتمام بالانماط الاتصالية الجديدة للتقنية الحديثة التي تمثلها الصحافة الالكترونية وحفزت هذه الصحف للافادة من الاتصال الالكتروني الذي اتاحته شبكة الانترنت عبر اصدار صحف او نسخ الكترونية من

---

(1) ن م

اصداراتها المطبوعة /وقد اشارت احدى الدراسات التي اجريت عام 2000 من ان 87٪ من الصحف الامريكية المطبوعة تنشر نسخا الكترونية من اصداراتها المطبوعة، ان التلفزيون والصحافة الالكترونية بشكل عام يكتسحان كل وسائل الاعلام الاخرى في نسب القراءة والاستماع المتداولة عالميا واقليميا او في توسع شبكات الاعلام او الانتشار الحقيقي او في الايرادات الاعلانية .

ان الصحافة التي تواجه تحدي انخفاض نسب القراءة للصحف في العالم تحاول ان تتصدى لهذه المعضلة من خلال البحث عن قراء جدد ومن ذلك تطوير التوزيع والترويج لحقائق جديدة ومنها عصرنة تقنيات وصناعة الصحافة فصحيفة الاندبندت البريطانية تضع كل قدراتها واستراتيجيتها للتأثير في نسبة ال 10٪ او 20٪او 30٪التي لاتقرأ الجريدة، وجريدة ليبراسيون الفرنسية غيرت من نفسها على الانترنت شكلا ومضمونا وسياسة عامة لتكون اقرب الى الجمهور لواسع الذي يستخدم الانترنت فزادت من عدد الصفحات والابواب والزوايا والاهتمامات ولونت صورها اكثر لتكون مشوقة اكثر عند القراءة .

وصحيفة اللوموند باشرت فلسفة جديدة لمهمات الصحيفة وصيغ الاخراج الجديدة بعد تطوير موقعها على شبكات الانترنت بما جعلت عدد القراء يزداد على نسختها الالكترونية يوما بعد يوم .

وفي رأي الخبراء ان الصحيفة مهما بلغت من التطور والمضمون الجذاب والشكل اللافت وهيئة التحرير المبدعة والترويج الاعلاني الفاعل تبقى عاجزة عن الانتشار الواسع اذا لم يرافق ذلك استخدام امثل لمزايا شبكة الانترنت وما يمكن ان تقدمه من تقنيات

تكون لها مزايا ايجابية سواء على زيادة عدد قراء الصحيفة على الانترنت او على عوامل اخراج الصحيفة وتحريرها والخدمة التفاعلية التي تقدمها للقراء .

ان المحررين والناشرين يجربون الاساليب الجديدة لاجتذاب القراء بما في ذلك القصص القصيرة والمزيد من الاخبار التي تقدم بطرق جديدة، ففي عام 1997 استطاعت اكثر من 600 صحيفة تقديم خدمات صوتية لمعلومات عن طريق الطقس والرياضة واتاحت الوصول الى قواعد المعلومات الخاصة بها على شبكة الانترنت.

ان الاعلام الجديد يقوم على التكامل والتداخل فهو يجمع كل مزايا وسائل الاعلام التقليدي ويزيد اليها ميزة التفاعل المباشر وازالة الفروق بين المرسل والمستقبل فتبادل المعلومات والافكار سيتم في اتجاهين بصورة سريعة وفورية، وسيكون بمقدور افراد الجمهور استقبال وارسال الرسائل في أي وقت وسيتمكنون ايضا من مخاطبة بعضهم البعض بعيدا عن مصدر الفكرة او المعلومة ،أي ان سلطة المصدر والوسيلة الاعلامية ستتقلص، وقد يوجه شخص او وسيلة ما رسالة اعلامية لجمهور محدد الا ان التفاعل حول هذه الرسالة قد يختلف تماما عن اهداف صاحب الرسالة الاصلي ،فالرسالة هنا تتحول الى نص يتفاعل حوله كل افراد الجمهور او بالتحديد الافراد الذين لديهم رغبة وقدرة في التفاعل حول هذه الرسالة –النص- ولاشك ان هذا الوضع يخلق اشكالا جديدة للتفاعل الاجتماعي واساليب الربط او حتى التلاعب بالوقت والمساحة)[1]

(1) التعرض للصحافة الالكترونية والمطبوعة ص14-15

حينما بحث العلماء مسألة نقل التكنولوجيا من البلدان المتقدمة الى بلدان العالم الثالث، كانوا يتحدثون عن امكانية نقل التكنلوجيا بدون قيم المجتمع الذي انتجها، لأن طبيعة مجتمعات العالم الثالث واعتقاداته تختلف عن مجتمعات الدول الغربية وقيمها .

واليوم يمكن ان تطرح المسألة الاخلاقية والقيمية من جديد على ضوء نقل تقنيات الثورة الاعلامية بما فيها الانترنت، فهل يمكن ان تطرح المسألة الاخلاقية والقيمية من جديد علما ان هذه التقنية ذاتها بدأت تعاني من فقدان سلم للقيم في دول نشأتها الاولى ؟ ولما كانت هذه التقنيات ترتبط في الجانب والممارسة الاعلامية فإن مسالة الحرية وحدودها والمسؤولية الاجتماعية تجاهها تكون من اقوى المؤثرات عليها .

من هذه المقدمات وجدنا من يتحدث عن محاولة جعل ثورة الاتصالات ثورة في اخلاقيات الاعلام كليا ،وجعل من اهم الاهداف التي يمكن ان يحققها علم اخلاقيات الاعلام هو كيف يمكن تحويل ثورة المعلومات والاتصالات الى ثورة اخلاقية، وكيف يمكن ان تلتزم الرسائل الاتصالية الجديدة مثل الصحافة الالكترونية باخلاقيات الاعلام ،ويتساءل الباحثون هل تحتاج ثورة الاتصال الى ثورة ثقافية جديدة تساهم في تشكيل المضمون الذي تحصل عليه الجماهير عبر ثورة الاتصال وتحولها الى اداة لتحقيق الديمقراطية والتقدم والتنمية ؟

ان من بديهيات ثورة الاتصال انها تؤدي الى توسيع نطاق الحرية الانسانية لأن الأشكال الجديدة للاتصال التي وفرتها تكنلوجيا الاتصال سوف تجعل قوانين الاعلام في كل دول العالم خارج اطار الزمن، فالسلطات سوف تعجز عن تطبيق القوانين على الاشكال الاتصالية الجديدة ومن اهمها الانترنت .

ومما لاشك فيه ان الصحفي –كما يقول الباحثون- يحتاج الى الحرية السلبية بمعنى الحرية من القيود الخارجية لكنه ايضا يحتاج الى الحرية بمعناها الايجابي أي حرية الفعل حرية القيام بعمل ايجابي يساهم في ابداع امكانيات جديدة للمجتمع، وعند ما يقبل الصحفي الحرية الايجابية فانه يصبح حرا وأخلاقيا .

لقد طرحت البيئة الالكترونية الجديدة تساؤلات جديدة على مستوى اخلاقيات العمل الاعلامي يقول احد الباحثين {مع تصاعد اعداد مستخدمي الانترنت، وتزايد التواجد الاعلامي على ساحتها وتنامي الاعتماد عليها كوسيلة اخبارية واتصالية واعلامية متميزة، وظهور العديد من المؤشرات من تراجع مصداقية وسائل الاعلام التقليدية، بدأ الامر وكأننا نعيش في بيئتين اعلاميتين مختلفتين : احداهما تتعايش وتتواجد فيها وسائل الاعلام التقليدية من صحافة واذاعة وتلفزيون وغيرها، وأخرى الكترونية محضة لها سماتها المميزة وتقنياتها الجديدة، وأساليب عملها الخاصة، ولكل من البيئتين التقليدية والالكترونية منظومته الخاصة فيما يتعلق بأخلاقيات الاعلام، وهو ما دعا العديد من الباحثين للتساؤل عن واقع وخصائص التشابه والاختلاف بينهما، وهل تطرح البيئة الالكترونية منظومة اخلاقية مختلفة للاعلام عن البيئة التقليدية ؟ والى أي مدى يمكن الانتفاع من المباديء والاسس الاخلاقية التي تم اراءها في البيئة التقلديدة ضمن سياق العمل الاعلامي في البيئة الالكترونية ؟ }[1].

---

(1).... السيد بخيت ص2

ان من اهم ما يثير موضوع اخلاقيات البيئة الالكترونية هو كونها جاءت في خضم العولمة، وفي ظل العولمة ومفاهيمها تتقارب القيم وتهيمن لغات وثقافات معينة على غيرها حيث تتواجد وسائل الاعلام وكلها بغض النظر عن هويتها الجغرافية والثقافية والسياسية في بيئة عالمية واحدة او متقاربة تحكم وتنظم العمل الاعلامي في هذه البيئة الجديدة، وعن امكانية التوفيق بين قيم اخلاقية اعلامية عالمية تستمد مقوماتها من طبيعة البيئة الالكترونية التي تحتويها، وبين قيم اخلاقية اعلامية ذات طابع محلي تستمد مكوناتها وحيويتها من سياقها الثقافي والاجتماعي المحلي والتقديدي .

مما تقدم وجدنا ان الباحثين يرون ان التساؤل عن امكانية تطبيق اخلاقيات الاعلام التي تطورت خلال القرن العشرين على وسائل الاتصال الجديدة قاد الى رؤيتين مختلفتين تما ما هما :[1]

الرؤية الاولى : تقوم على ان اخلاقيات الاعلام لا تنطبق على وسائل الاتصال الجديدة .وأنه لا يمكن تطبيق اخلاقيات الصحافة المطبوعة على الصحف الالكترونية، ففي دراسة اجراها كل من – أرانت واندرسون قال 47٪ من محرري الصحف الالكترونية ان سرعة الانترنت قد قللت من امكانية تطبيق المعايير والاحكام المهنية الاخلاقية مثل الدقة على الصحف الالكترونية، حيث

يصبح من الصعب التأكد من دقة الحقائق والمعلومات قبل بثها على الصحف الالكترونية لكن سرعة الانترنت ليست هي العامل الوحيد في عدم التزام الصحف الالكترونية بالمعايير الاخلاقية ،فقد قال

---

(1) ثورة الاتصال واخلاقيات الاعلام ا د سليمان صالح ص7-8

37٪ من محرري الصحف الالكترونية ان قلة عدد الصحفيين الذين يعملون في هذه الصحف يؤدي الى عدم قدرتهم على تطبيق هذه المعايير مثل التاكد من صحة المعلومات ودقتها ،

وقد تكرر هذا التفسير في دراسة اخرى عام 2000 حيث ان الصحف الالكترونية يعمل فيها في العادة عدد قليل من الصحفيين يطلب منهم ان يقوموا بإحداث بعض التغييرات في القصص الاخبارية لجعلها اكثر سخونة بما يتناسب مع الانترنت واضافة المعلومات الجديدة السريعة على هذه القصص وفي هذه البيئة الصحفية يصبح من الصعب الالتزام بالمعايير المهنية او اخلاقيات الاعلام .

الرؤية الثانية : تقوم على ان اخلاقيات الاعلام عامة، ولا تختلف من وسيلة الى اخرى، ويتبنى هذه الرؤية الكثير من محرري الصحف الالكترونية حيث طلب ارانت وأندرسون من محرري الصحف المقارنة بين معايير الممارسة في الصحافة المطبوعة والصحافة الالكترونية، وقال معظمهم ان اخلاقيات الصحافة واحدة في الصحف المطبوعة والالكترونية ،وان المعايير لا تختلف لكن السرعة في الصحف الالكترونية تؤدي الى عدم الالتزام بالمعايير المهنية بالاضافة الى قلة عدد الصحفيين في الصحف الالكترونية حين قال 27٪ من محرري تلك الصحف انهم يعتمدون على بعض الصحفيين الذين يعملون لبعض الوقت، ومع ذلك فإننا نرى ان المشكلة لا تكمن في صلاحية المعايير والاخلاقيات المهنية للتطبيق على وسائل الاتصال الجديدة مثل الصحف الالكترونية والمواقع الاخبارية على الانترنت، بقدر ما تكمن في ان ثورة الاتصال قد جعلت معظم المعايير والاخلاقيات الاعلامية التي تطورت خلال القرن العشرين غير صالحة، وأن تلك الثورة تشكل مناخا اعلاميا

واتصاليا جديدا يحتاج الى معايير وأخلاقيات جديدة .

ان طبيعة الانترنت والصحافة الالكترونية عليه تقوم على اساس سرعة تناول الخبر، وهذا يجعل الحماسة تلعب دورا في سباق السرعة هذه مما ينعكس على الدقة والتوازن والوضوح { تتسم صحافة الانترنت بالحماسة وحدة المواجهة لكن اسلوبها واستمرار دورتها الاخبارية على مدار الساعة يطرحان تساؤلات حول كيفية تمكن صحافة الانترنت من تقديم تقارير اخبارية تنسجم مع اعلى معايير الصحافة قاطبة، وتجهد مؤسسات الاخبار الرئيسة لتتمكن من تطبيق معايير اخبارية تقليدية قديمة العهد على الانترنت، لكنها تكتشف ان ليس من السهل نقل فضائل الدقة والتوازن والوضوح الى وسيلة تقوم على اساس الايصال السريع للاخبار، وفي الوقت نفسه حدووثها، وعززت تقنيات الانترنت عمل الصحفيين من خلال تزويدهم بأساليب فعالة لسبر المعلومات بعمق اكبر وتأتي القدرة على التدقيق في الوثائق وجمع المعلومات ومضمونها التاريخي وتحديد المصادر الموثوق بها من خلال تعدد الادوات المتوفرة للصحفي ،كما انها أدخلت ثقافة مختلفة بأساسها تقوم على التفاعل المتبادل وعلى عدد أقل من القواعد والقيود .

لقد كانت سرعة ايصال الخبر وفي الوقت المناسب مصدر قوة الصحافة التقليدية وقامت سمعة وكالات الانباء على كونها اول من يبث الاخبار الساخنة التي يجدها الناس منشورة في صحفهم المحلية، وخطف البث المباشر للتلفزيون هذه الميزة من الصحافة المطبوعة والآن أكدت الانترنت محاسنها في سرعة ايصال الخبر في الوقت المناسب، وهكذا مكنت الانترنت الصحف من العودة في عملها الى نشر الاخبار الفورية وتوسيع نطاق منشوراتها المعروفة باسمها من خلال تجديدات

مبتكرة مثل اصدار نشرات اخبارية بعد الظهر مباشرة على صفحاتها عبر الانترنت.

وعند مفترق الطرق بين الصحافة التقليدية وصحافة الانترنت تصطدم محاولات تطبيق المعايير التقليدية لتحرير الاخبار مع معطيات أخرى كالحرية وعدم التورع عن كشف المحظور وحمل لواء قضية معينة واتخاذ مواقف واضحة، وفي الولايات المتحدة يؤكد صحفيو الانترنت ان اللهجة الجديدة للصحافة التقليدية لا تفيد على الانترنت ويعدون وسيلتهم الجديدة معبرة عن الروح الحقيقية للدستور الامريكي الذي ضمن حريات الكلام والنشر والتجمع ،ويلاحظ صحفيو الانترنت ان وسيلتهم الجديدة تعيد الى الذاكرة زمنا كانت فيه اخبار الصحف تتسم بالحماسة والمواجهة المثالية)[1] .

ان القاء نظرة تاريخية على ممارسة اخلاقيات الاعلام في ضوء ثورة الاتصالات الجديدة وخاصة الكمبيوتر والانترنت يعطينا صورة اوضح على اهمية الاخلاقيات، فمما يذكره الباحثون في هذا المجال ما جاء في بحث الدكتور بخيت الذي قال { لقد مر الاهتمام بتطوير المباديء الاخلاقية في البيئة الالكترونية بعدة مراحل حيث سبق الاهتمام بوضع ضوابط اخلاقية لاستخدام الانترنت الاهتمام بسن تشريعات تنظم هذا الاستخدام، فمنذ منتصف الثمانينات بدأ طلاب جامعة carregic mallon بوضع بعض العلامات للاشارة لبعض التعبيرات . كما قامت حوالي مائة شركة تستخدم الانترنت منذ اواخر السبعينات بوضع القواعد للحفاظ على مساحة التخزين على خوادم

(1) التعرض للصحافة الالكترونية والمطبوعة ص9-10

الكمبيوتر وتوسعت اداب التعامل في التسعينات لتشمل مواقع الويب وطرق تصميمها واخراجها الكترونيا في وقت كانت فيه معظم المودمات تتصف بالبطء في تحميل الصفحات وفي عام 1988 بدات تزيد سرعة المودمات، وبدا ان محاولات فرض اداب التعامل التقليدية اصبح امرا غير مقبول، كما دخل الى عالم الانترنت اناس كثيرون من غير ذوي المعرفة الكبيرة بالكمبيوتر مما جعل اداب التعامل على الانترنت تبدو مثل اداب التعامل المتعارف عليها في الحياة العامة . وقد طور معهد اخلاقيات الكمبيوتر بواشنطن ما يعرف بالوصايا العشر لاستخدام الكمبيوتر، كما وضعت جامعة جنوبي كاليفورنيا ميثاق اخلاقي للتعامل مع الشبكة منها ضرورة العمل على منع الارباك العمدي للمرور عبر الشبكة، ومنع تحطيم شبكة الجامعة والانظمة المتصلة بها، وعدم استخدام المخادع والتجاري لمصادرها، وعدم سرقة البيانات والمعدات او التعدي على حقوق الملكية الفكرية، ومنع الوصول غير المرخص لملفات الاخرين وعدم القيام باي سلوك مزعج ومسيء في حجرات الدردشة العامة، ومنع ارسال رسائل بريدية تستهدف الاحتيال على الاخرين. وينص الميثاق الاخلاقي لاعضاء جمعية الكمبيوتر - - - alm على ضرورة مساهمتهم في خدمة المجتمع والانسانية، وتجنب الحاق الاذى بالاخرين، والالتزام بالامانة والصدق والموضوعية وعدم التمييز واحترام ملكية الاخرين واحترام الخصوصية والسرية . كما توصلت ثلاث منظمات هي الجبهة الاسترالية الالكترونية ومؤسسة الجبهة الالكترونية والمنظمة المهنية للكمبيوتر والمسؤولية الاجتماعية الى وثيقة للحقوق والمسؤوليات الاجتماعية تتضمن الحقوق الالكترونية مثل الحق في الاتصال والحق في الخصوصية وحق التقاضي وحق الوصول وحق التمثيل والاخلاقيات الالكترونية مثل التسامح والمصداقية ومراعاة

مشاعر الاخرين والتنظيم، كما وضع مركز بحوث بالوالتو تصوره لاداب التعامل على الانترنت وكذلك فعل كل من رابطة الانترنت في جنوب استراليا عام 1898 وميثاق منظمة - - - acmوميثاق رابطة موفري خدمات الانترنت - - spa- عام 1996 واعلان الشبكة الالكترونية في اليابان عام 1996 وذلك بالاضافة الى بعض البيانات التي اصدرتها عدة جامعات لتشكل اساسا لتطوير مواثيق اخلاقية في مجال الانترنت مثل الجامعة الدولية اليابانية 1996 وجامعة جرينفيلد، وحددت هيئة انشطة للانترنت في يناير 1998 السلوكيات الاخلاقية على الانترنت بانها تلك التي تستهدف عن عمد، الوصول غير المرخص او غير المسموح به لموارد الانترنت، وارباك استخدام الانترنت، وتبديد موارد الشبكة واضاعة وقت المستخدمين، والتاثير على نزاهة ودقة المعلومات المتوفرة على الاجهزة وفي فرنسا تمت صياغة ميثاق تقوم مبادئه على خلق كيان يتلقى شكاوي مستخدمي الانترنت ويتولى ايضا الوساطة لوقف بث المواد والاعلانات غير المشروعة . وفي انجلترا نشرت جمعية مقدمي خدمات الانترنت - - - - ispa ميثاق شرف يشتمل على مجموعة من القواعد التي تنظم العلاقات بين المتعاملين على الشبكة الدولية للمعلومات، وبمراجعة هذه الوثائق يتضح انها لا تتناسب مع اهمية المشكلة وما تحتاجه من معالجة شاملة، فضلا عن ان بعضها يتناول جوانب اخلاقية ذات طابع تقني وفني اكثر من اعلامي –[1]

لقد قاد هذا الاهتمام الاستثنائي باخلاقيات تكنلوجيا المعلومات وساحة الانترنت الى المطالبة بادخال مفردة اخلاقيات الاعلام الى الدراسة والتعليم ودعا الكثيرون مدارس الصحافة واقسامهما في

---

(1) .....د.بخيت ص7

الجامعات الى ان تلعب دورا في ذلك، ففي دراسة اجريت عام 2000 على محرري الصحف الالكترونية طالب 97٪ من محرري هذه الصحف بادخال برنامج دراسي يتناول اخلاقيات الاعلام وكيفية تطبيقها بالنسبة للصحافة الالكترونية وتغطية القضايا والمشكلات الخاصة التي تنتج خلال العمل في الصحف الالكترونية . مع ذلك فان الدراسة كشفت ان 50٪ من مديري الاخبار في الصحف الالكترونية لم يتلقوا تاهيلا اكاديميا في مجال الصحافة .

يقول رئيس تحرير الطبقة التفاعلية لجريدة وول ستريت جورنال : اننا نحتاج الى ان نقدم المعلومات للجمهور بشكل يتسم بالامانة والدقة والعدالة، فهذه الاخلاقيات لا يمكن الاستغناء عنها لتغيير التكنلوجيا، لذلك فان الصحافة الالكترونية تحتاج الى صحفيين يعرفون الاخلاقيات الاعلامية ويستطيعون تطبيقها وهذا يحتاج الى تعليم.

ولذلك فكما فرضت ثورة الاتصال ضرورة تطوير علم اخلاقيات الاعلام لكي يتمكن من مواجهة المشكلات التي فرضتها تلك الثورة فانها ايضا قد فرضت ضرورة تطوير اساليب تعليم تلك الاخلاقيات، والبحث عن اساليب جديدة لتعليم الصحفيين كيفية اتخاذ القرارات الاخلاقية في المشكلات التي تواجههم خاصة في مجال الصحافة الالكترونية -

2- العولمة السياسية عبر الانترنت

الديمقراطية الالكترونية

لاشك ان العلاقة بين الديمقراطية والانترنت لا تقف عند حدود تسهيل عملية التصويت والانتخاب الالكتروني عبر الانترنت، وانما

يتجاوز هذه الآلية الى جوهر الديمقراطية الجديدة التي تصنعها الثورة المعلوماتية عند التعبير عن هويتها في اطار العولمة، لان وسائل العولمة ومنها العولمة الاعلامية والاقتصادية لم تترك المجال واسعا للاختيار بين الرفض والقبول كما كان سائدا في زمن الايدلوجيات او عصر ما قبل العولمة لان الاراء والتوجهات واساليب الحياة يمكن ايصالها الى الجميع في كل الظروف والاوقات ودونما اية تجديدات ،وبمعنى آخر بالامكان ابقائها ماثلة في وعي المستهدفين بصورة شبه مستمرة، فالعلاقة بين العولمة والديمقراطية اصبحت مسألة مسلم بها عند جميع الباحثين والعلماء،

يقول الباحثان ميكلويت وأدريان وودريج في حديثهما عن تحدي العولمة ووعدها الخفي بان العولمة تساعد على انتشار الديمقراطية في العالم وان ثمة تلازما بين الاثنتين سيما ان الظاهرتين اكتسبتا زخما متزامنا في العقد الاخير وبعد نهاية الحرب الباردة ،لان العولمة حطمت استبداد المكان أي اتاحت المجال للناس لمزيد من التنقل والتواصل وتجاوز الحدود التي حشرتهم لعشرات السنين واجبرتهم على نمط واحد من المعيشة وطريقة واحدة للاستثمار وفي مكان واحد وحدت آفاق قراءاتهم ورؤيتهم للعالم اذ كانت العولمة لها تأثير كبير جدا ومباشر وايجابي على الانفتاح السياسي وتعزيز التحول البطيء نحو الديمقراطية في الدول الدكتاتورية، والمقصود هنا بالعولمة الاعلامية هو الانفتاح المذهل على المعلومات وكسر الاحتكار الرسمي لها اما عن طريق البث التلفزيوني العابر للحدود او شبكة الانترنت .

ان العالم اليوم يسعى الى توسيع مفهوم الديمقراطية وتأصيله بما يتفق ومطالب عصر المعلومات ووسائله وأخذت رايات الديمقراطية تتسع لتشمل افريقيا وجنوب شرق آسيا كل ذلك يعكس حقيقة ان

التفاعل بين المعلوماتية والديمقراطية هو تفاعل حقيقي حيث ان وفرة المعلومات تسهل ممارسة الديمقراطية على كافة الاصعدة وتروج لها على مستوى الكرة الارضية .

لقد أشار الدكتور نبيل علي الى علاقة المعلوماتية بالديمقراطية حيث قال { من أبرز ملامح العلاقة المعلوماتية –السياسية هو ما يتعلق بالديمقراطية مفهوما وممارسة حيث يزعم الكثيرون ان الانترنت ستفضي الى اعادة النظر في مفهوم الديمقراطية من اساسه، لقد وفرت الانترنت ساحة جديدة للرأي العام تسمح بظهور اشكال جديدة للممارسات الديمقراطية سواء في عمليات اتخاذ القرارات او متابعة ما ينجم عنها من نتائج ايجابية او سلبية وعلى مستوى السياسة العالمية فمن المتوقع ان تناصر القوى السياسية الكبرى مؤسساتها الاقتصادية بممارسة ضغوط هائلة على منافسيها على مستولى المحافل الدولية)[1].

ويؤكد الباحث على القول بالتساؤل { هل لنا ان نتفاءل مع من يزعمون ان الانترنت سوف تسقط الحلقات الوسيطة ومواطنيهم محققة بذلك نوعا جديدا من الديمقراطية المباشرة التي يشارك فيها الجميع في عملية اتخاذ القرار دون حاجة الى تمثيل نيابي يوكل اليه هذه المهمة ؟ ام هل لنا ان نقلق اشد القلق مع من يرى في ديمقراطية الانترنت هذه ضربا من الفوضى سيؤدي الى مزيد من تدخل الحكومة من اجل السيطرة على جماهيرنا خاصة ان الانترنت توفر الوسائل العملية

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص87

الفعالة لاحكام هذه السيطرة حيث تسجل للمواطنين مواقعهم وافعالهم لتكشف -بالتالي- عن اهوائهم السياسية والفكرية مما يجعلهم اكثر عرضة لهذه الرقابة الالكترونية التي لا تغفو لها عين)[1] .

ان خطورة المعلوماتية الاعلامية على الديمقراطية تظهر اكثر حينما نعلم ان السبب يعود الى- ونتيجة- لتخلخل في الحدود التي تميز بين المعلوماتية وموجات الدعاية والاعلانات ،فالعديد من قنوات الاعلام تمتلك قدرة كبيرة على الهيمنة تتجاوز الجو الحقيقي للمعلوماتية وتاخذ بنحو مباشر او غير مباشر بالترويج لما يحقق مصالحها ، وهكذا نرى ان الدعاية الخفية من خلال مهارات في التكتيك وصناعة الخبر والجانب المعلوماتي تسلب المرء فرصة الموقف الواعي فيقع دونما وعي تحت تأثير افكار يتلقاها بوصفها اخبارا ومعلومات، وبالطبع فان من يمتلك تقنيات متقدمة في الاعلام والتكنلوجيا سيهيمن على الرأي العام اكثر من الآخرين ،

ان من يحمل فكرة او يعتنق تصورا ما ، سيعمل ولا شك على ترويجها ، قصارى ما هنالك ان امتزاج المعلوماتية بأنشطة الدعاية واختلاطها جعلا الانسانية في مواجهة تعقيدات جادة ولا بد من فرز تلك الحدود والتمييز بين المعلوماتية والنشاط الدعائي.

وهكذا نرى ان ممارسة الديمقراطية ستتاثر سلبا في محاولات الترويج الدعائي على حساب صدق المعلوماتية .

ان تفاعل الاقتصاد الحر ورأس المال والديمقراطية في اطار التقنيات المعلوماتية في جو العولمة، يظهر لنا الصورة التالية {اننا اليوم

---

(2) ن م

أمام ثالوث المال والاقتصاد الحر والديمقراطية، ومعها كلها هذه التقنيات التي تدفع الى عملية التدويل والعولمة الحتمية، وتبدو قوة جذب العالم واثارة التطلعات وحرية المعرفة والاطلاع وملامح الاستعدادات القوية لجميع المجتمعات الانسانية بهدف المشاركة، محكومة بترقب النصر النهائي لآلة الفديو او مسجل الافلام التلفزيونية او تقنية اتصالية اخرى ... ويظهر تناقض بين الكلام المبشر بالحرية والديمقراطية وبين قسرية العولمة ،وتفسير ذلك الاقرار بعدم حيادية المعرفة المعاصرة وانحياز الخطاب الفكري وصعوبة تخليص الفرد في خطبه واقواله من حضور الارقام واستبدادها، اضافة الى مقولات الاستهلاك العام والضغوط التي تمارسها عملية مختلف السلطات من خلال زخم خطبها التي نستهدفه او ايدلوجيات –الترويج والدعاية التي تغلفه- بهذا لم تعد الديمقراطية مؤمنة بضمان حرية التعبير شرطا كافيا لها ،لانها قد تلتصق بنقيضها في ثوب واحد، وتبدو النتائج حول معاني السلطة الحقيقية ومصادرها حافلة بالاوهام والمتخيلات الكثيرة والصور التلميحية التي نخلقها كلها مقولات الاعلان تتبعه المعلومة المكثفة او برشامات المعرفة السريعة، فيبدو الانسان متأرجحا بين الآلية والانسانية باحثا عن التوفيق فيما بينهما)[1]

إن الانترنت كوسيلة اعلامية شاملة والمعلومات التي يحملها في عصر العولمة، تؤثر تأثيرا مباشرا على ممارسة الديمقراطية في كل دول العالم وخاصة دول العالم الثالث الذي تسيطر عليه الدول المتقدمة {فالتقدم الاعلامي الذي طرأ على وسائل الاتصال في الدول المتقدمة ادى الى زيادة تحكم وسيطرة هذه الدول على الاعلام في الدول النامية،

(1) الاعلام العربي وانهيار السلطة اللغوية ص398-399

وتحول التدفق الحر للمعلومات بين دول غير متساوية في القوة الاقتصادية والتكنلوجية ليس في مصلحة المجتمعات الاضعف، فالولايات المتحدة مثلا تسيطر على الانتاج السينمائي وتغرق العالم بالافلام وبرامج التلفزيون وتسيطر على وكالات الاعلان ووكالات الانباء مع بريطانيا وفرنسا، كما ان بعض الصحف والمجلات تؤثر على الصفوة في الدول النامية وعلى القيم الحضارية)[1]

ان من بديهيات التأثير الاعلامي وحتى قبل العولمة الاعلامية، أن يقوم على نقل الافكار وتوصيلها كي يتحقق من ورائها سلوك محدد او استجابة معينة، ويكون العمل الاعلامي ناجحا اذا تحقق السلوك او تحققت الاستجابة على النحو المأمول او المتوقع من وراء عملية نقل الافكار، ولا شك ان الاستجابة في قرار ممارسة الديمقراطية بالسلب او الايجاب بالقبول او بالمعارضة هو من بين هذه الاستجابات .

ان الاعلام والديمقراطية توءمان، فالديمقراطية تضمن للاعلام حريته، والاعلام يضمن الدفاع عن الديمقراطية التي يعتبر أداة من أدواتها { ان الاعلام جزء من الديمقراطية تماما كما هي الديمقراطية جزء من الاعلام، ومن هنا فإذا كان لكل منهما فضاءه المستقل –ومن الضروري ان يكون الامر كذلك – فكلاهما بصرف النظر عن هذا الطرح او ذاك وسيلتان لهدف فلسفي واحد، حفظ كرامة الفرد والجماعة وصونها من مفاعيل الضيم والاستبداد)[2] .

---

(1) الاعلام والسياسة ص113

(2) التكنلوجيا والاعلام والديمقراطية ص104

من هنا يمكن ان ندخل الى مفهوم وحقيقة ما يسمى بالديمقراطية الالكترونية او ديمقراطية الانترنت او النتوقراطية او الديمقراطية الرقمية كآخر مصطلح من مصطلحاتها .

فما هي هذه الديمقراطية القائمة على وسيط اعلامي واتصالي أساسا ؟ أي انها قائمة على معطيات ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات في جو العولمة الواسع الآن ؟

لقد عرض الباحث جمال محمد غيطاس اساس هذه المسألة عبر كتابه –الديمقراطية الرقمية- حيث قال فيه جامعا بين الشق السياسي –الديمقراطية –والشق التكنولوجي –ادوات الاتصال ومنها الانترنت {ننتهي مما سبق عرضه حول الشق السياسي متمثلا في الديمقراطية والشق التكنلوجي متمثلا في السيادة الرقمية الى ان المشهد على ساحة الاحداث قد تبلور في طرفين كلاهما ليس امامه سوى التلاحم والتلاقي مع الآخر : الطرف الاول :يتمثل في وجود اتجاهات عالمية عارمة وشاملة –وعنيفة في بعض الحيان- تلح في ضرورة نشر الديمقراطية واعتماد قيمها وآلياتها المختلفة في شتى بقاع الارض كمشاركة الشعوب في بناء المؤسسات الحاكمة عبر صناديق اقتراح حر ونزيه ،والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرار والحرية الكاملة في التعبير عن الرأي، والتقويم الحقيقي للأداء وفعالية في المحاسبة وتصحيح الاخطاء ...الخ ومع الزيادة الهائلة في اعداد المواطنين واتجاه المجتمعات الانسانية نحو المزيد والمزيد من التعقيد والتركيب ..باتت كل آلية من الآليات الديمقراطية في حاجة الى ادوات جديدة لتفعيلها عمليا وعلى نطاق واسع امام الجماهير الغفيرة من المواطنين .

والطرف الثاني يتمثل في تكنلوجية هائلة تمخض عنها ادوات بلا حصر تخصصت في التوليد والتداول الرقمي للمعلومات على نطاق واسع وبأسعار رخيصة وبسهولة شديدة تتيح حتى للأميين استخدامها وبإمكانها ان تفتح قنوات للتواصل بين ملايين البشر بصورة غير مسبوقة.

وبعدما بلغ الالحاح والاحتياج للديمقراطية حد الشغف وبلغ التداول الرقمي للمعلومات حد السيطرة والسطوة والقوة والانتشار كان من الطبيعي ان يتلاقى الشقان معا، فمدت التكنلوجيا بساطا لتسير فوقه كل ادوات الممارسة الديمقراطية، وتنهل مما تتيحه بيئته الديناميكية الهادرة من مزايا التواصل والتدفق السهل للمعلومات والمشاركة في الانشطة ،والتفاعلات الجارية وكان من الطبيعي ان تنجذب الديمقراطية للنهل المستمر من منجزات التكنلوجيا الرقمية الهادرة وتصطبغ بصبغة رقمية تزداد عمقا ووضوحا مع الوقت)[1] .

وهكذا يصل المؤلف الى تعريف الديمقراطية بقوله{ ان الديمقراطية الرقمية هي توظيف ادوات تكنلوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية في توليد وجمع وتصنيف وتحليل ومعالجة ونقل وتداول كل البيانات والمعلومات والمعارف المتعلقة بممارسة قيم الديمقراطية وآلياتها المختلفة، بغض النظر عن نوع هذه الديمقراطية وقالبها الفكري ومدى انتشارها وذيوعها ومستوى نضجها وسلامة مقاصدها وفعاليتها في تحقيق اهداف مجتمعها)[2].

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص44-45

(2) الديمقراطية الرقمية ص45

على ان المؤلف يؤكد حقيقة مهمة وهي ان الديمقراطية الرقمية ليست مفهوما جديدا للديمقراطية مثل الديمقراطية الليبرالية او المسيحية او الاسلامية وغيرها، وانما هي وسائل ممارسة الديمقراطية وذلك بناء على ان التكنلوجيا لا تصنع نموذجا فكريا ومؤسسا جديدا يحل محل ماكان قائما من مؤسسات وكيانات وافكار ونظريات، ولكنها تقدم أدوات جديدة تجعل المؤسسات والافكار والنظريات القائمة تعمل بطريقة مختلفة وتمارس فعالياتها بشكل أكفأ وادق وارخص واسرع واوسع نطاقا، وهكذا يصل المؤلف في هذا التأصيل الفكري للديمقراطية الرقمية الى التاكيد على ان تكنلوجيا المعلومات لم تقدم ويجب الا تقدم نظرية جديدة في الديمقراطية الرقمية ،لأنها – رغم سطوتها وابهارها وقدرتها على التغيير- يجب ان تظل دائما أداة خادمة مطيعة للمجال الذي تدخله، وليست سيدة متحكمة به أو غاية تمسك بمقود حركته، ويتعين ان يقاس نجاحها بمدى ليونتها وتلاؤمها مع ما يوضع على عاتقها من مهام، وأي نظرة خلاف ذلك تسبب ضررا مزدوجا للتكنلوجيا والمجال الذي تعمل به معا.

وفي مجال الانترنت والديمقراطية اصدر الكاتبان السويديان الكساندر بيرد المحاضر الجامعي والخبير في مجال الاتصالات الصوتية بواسطة الانترنت، وجان سودير الكاتب والمنتج والمذيع التلفزيوني كتابا سموه –النتوقراطية –حيث يتحدث الكاتبان عما يسمى النتوقراطية منطلقين من رفض نظرية ان الإنترنت سيعزز موقف الرأسمالية والديمقراطية عبر إشاعة المزيد من الحرية للتجارة والاقتصاد والأفراد عموماً في مختلف نواحي الحياة ومن رفض نظرية ان بالإمكان السيطرة على الإنترنت من قبل الدول وانه سيتحول لأداة كبت وسيطرة

طارحين بدل هاتين النظريتين نظريتهما الجديدة عن النتوقراطية في كتابهما –النتوقراطية : نخبة القوة الجديدة وحياة ما بعد الرأسمالية . وكلمة النتوقراطية هي نحت لغوي من قبل المؤلفين حيث يعني الجزء الأول من الكلمة نت أي الشبكة والثاني قراطية ليخرج مصطلح جديد يعبر في رأيهما عن حقبة جديدة في تاريخ الإنسانية تأتي فوق حطام الرأسمالية والديمقراطية، ويربطان كلمة النتوقراطية بعبارة عصر المعلوماتية الذي يأخذونه منطلقا لنظريتهم المستقبلية للعالم . وبمقدار ما يخص موضوعنا في علاقة الديمقراطية بالمعلوماتية وعولمتها عبر العولمة الاقتصادية للمعلومات نرى انهما يركزان على القول من ان المعلومة ومن يسيطر عليها يمتلك قوة هائلة وان الاقتصاد يعتمد على بيع المعلومة وأصبحت تكنولوجيا المعلومات هي التسلية والإعلام والسلعة الجديدة وباتت شيئاً فشيئاً تحل محل كثير من مؤسسات المجتمع الرأسمالي السياسية والتعليمية وبات الحديث عن حرية التجارة وانتقال رؤوس الأموال لا معنى له مع تزايد التجارة الإلكترونية الواقعة تحت سيطرة النخب المتحكمة بشبكات الاتصال والمعلومات . ويرى الكاتبان ان أهم مزايا اقتصاد المعلومة أنه لا يقوم على بيع المعلومة او حتى تحويلها لمورد دخل مالي بل ان النتوقراطية – كما يقولان – ستمتاز بنوع من الاستثمار او الاستهلاك غير الاستغلالي بمعنى ان النتوقراط قد يقررون الاستفادة من معلومة خاصة لمصلحتهم ومصلحة شبكتهم او حتى متعتهم الشخصية حصرياً وتبادلها في إطار نخبة ضيقة من النتوقراط في شبكتهم الخاصة دون ان يبيعوها او يستثمروها على نحو يدر ربحاً مالياً كما هي القاعدة في الرأسمالية، اما انعكاس هذا الاقتصاد النتوقراطي على النظام الديمقراطي فيتحدث المؤلفان عنه بالقول بأن هناك عدة عوامل تقود النظام الديمقراطي وسيطرة البرجوازية

الاقتصادية إلى نهايتهما، فمن جهة يلعب انتشار وشبكات الاتصال الراهنة لصالح جماعات المصالح او ما يسمى المجتمع المدني، وهذه الجماعات في الواقع تلعب دوراً يفقد الديمقراطية معناها الشائع بصفتها حكم الأغلبية، فبفضل القوة والتنظيم – كما يقول المؤلفان – الذي تستطيع جماعة صغيرة منظمة ان تمتلكها عبر وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات الحديثة مما يمكنها ان تدفع بمصالحها إلى الأمام وتجبر السياسيين على تبني وجهات نظرهم وتقييمها للبرلمانات بغض النظر عن مواقف قطاعات اجتماعية أخرى مما يجعل الحكم حكم أقليات وجماعات مصالح لا حكم الأغلبية، ولعل من نتائج هذا الوضع انه بينما تنتعش هذه الجماعات المنظمة يتراجع اهتمام الجماهير بالمشاركة في الانتخابات العامة، فتتناقص هذه المشاركة تدريجياً في علامة على فقدان الاهتمام بالنظام برمته. كما ان الإعلام الجماهيري الرأسمالي قد يسهم في إضعاف النظام الديمقراطي، فالسياسة والسياسيون يوشكون على التحول إلى نوع من التسلية، فأخبارهم الشخصية وفضائحهم باتت مادة الإعلام المثيرة التي تشبع نهم القارئ لا تفاصيل القوانين والتشريعات وهذا أعطى جماعات المصالح – لا سيما ان تعاملت مع الإعلام على نحو معين –الفرصة لبلورة مشاريعها الخاصة التي تلبي مصالحها وتمررها عبر السياسيين الذي اصبح يقيس تصرفاته بصداها الإعلامي المتوقع ويتوصل المؤلفان إلى القول انه اذا كانت الديمقراطية تقوم في جوهرها على تباين الآراء والدخول في عملية حوار للوصول إلى رأي من تلك الآراء، فان الإنترنت اصبح يسمح بإعادة التجمع بين أصحاب الرأي الواحد داخل الدولة وخارجها وتسيير أمورهم بأنفسهم دون الحاجة للالتقاء بأصحاب الرأي الآخر، وهذا يتبعه تساقط العديد من أساطير الدولة القومية من مثل احترام شرعية الدولة والقيادة

والموت لأجلها ولأجل سيادتها، كما حلت شبكات إتصالية محل الروابط القائمة على النسب والعائلة والألقاب، بل ان الإعلام الجماهيري ذاته يتشظى الآن وبدل الشبكات التلفزيونية والراديو الخاص بكل شعب أصبحت تتراجع امام شبكات تبيع برامجها بالاشتراك وتقدم ما تريده شرائح معينة من المستهلكين كل حسب اهتمامه ودون الالتزام بحدود الدول مما يلغي تلك الأطر الإعلامية القومية وكل هذا يعني تراجع قدرات مؤسسات الدولة لصالح شبكات الاتصال والمسيطرين عليها، وإذا كانت الشركات المتعددة الجنسية السابقة ترفع عادة أعلام دولها وتحتاج لرعايتها والتحالف معها حيث كانت رأ س حربة دولها لاستعمار دول أخرى فان الشبكات لا تحتاج ذلك وتجاوزت حاجتها للدولة وبات من مصلحتها الظهور بمظهر عالمي –غير وطني- غير محلي.

ان مجتمع النتوقراطية هذا وفي هذا السياق ستكون المعلومة فيه هي عنصر القوة والحراك الاجتماعي داخل الهرم وستكون المعلومة الأهم تلك التي لا تباع بل يستفاد منها فهم سيستثمرون معلوماتهم مباشرة وما سيبيعونه المعرفة الناتجة عنها، أما المعلومة التي تباع ويشتريها الرأسماليون فهي غالبا ما تكون مستعملة تم الانتهاء من استثمارها .ان المعلوماتية –كما يقول المؤلفان- او مجتمع النتوقراطية ستكون زلزالا تاريخيا لا يقل حدة عن قدوم الرأسمالية في أعقاب الإقطاع ويصلان إلى الاستنتاج بان هناك حقبة عالمية جديدة ستقوم تكنولوجيا المعلومات فيها بتغيير طرق ومبادئ التفكير وسلوك البشر وسنكون أمام اقتصاد وسياسة واسرة وتعليم وحتى أفراد من أنواع مختلفة كليا عما عرفه التاريخ ،ومن جانب أيدلوجي فإذا كانت الفلسفة الشمولية قد غطت مساحة كبيرة من تاريخ الفكر الإنساني

منذ سقراط وآدم سمث فان فلسفة الحركية ستغطي المساحة عبر مجتمع النتوقراطية هذا

اما تجليات ومظاهر الديمقراطية الرقمية كما يتحدث عنها جمال محمد غطاس فتظهر في جانب الانترنت عبر عملية التصويت حيث يقول تحت عنوان –التصويت عبر الانترنت- {يمكن ان يتاح التصويت في الانتخابات عبر الانترنت من خلال انشاء بوابة اتصال بين البنية المعلوماتية الاساسية للانتخابات من ناحية وشبكة الانترنت من ناحية اخرى ،وهذه البوابة تكون في العادة عبارة عن موقع على الشبكة يتميز بالقوة والديناميكية والتصميم المعد خصيصا لتسهيل التصويت الالكتروني، ويرتبط عبر خطوط اتصال مؤمنة وذات كفاءة عالية بالحاسبات وقواعد البيانات ونظم المعلومات الموجودة في البنية المعلوماتية الخاصة بالانتخابات، وفي هذه الحالة يعمل الموقع كنافذة او لجنة انتخابية افتراضية على الانترنت، يمكن للناخب ان يستخدمها كما لوكان موجودا في مقر اللجنة الانتخابية بالضبط، فيغذي الموقع برقم الهوية الخاص به ويطالع قوائم المرشحين ويدلي بصوته الذي ينتقل تلقائيا الى قواعد البيانات، وفي هذه الحالة يحتاج الامر لمستويات عالية جدا من سياسات واجراءات التأمين للموقع وللمعلومات المتبادلة بينه وبين قواعد البيانات وبينه وبين الناخبين الذي يدخل عليه من أي مكان في العالم)[1] .

وفي اطار المسوح واستطلاعات الرأي في الجانب الديمقراطي والتي اصبح من الصعب على أي دولة او مجتمع او نظام سياسي ان يدعي

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص61

الديمقراطية ثم لا يستخدم المسوح واستطلاعات الرأي بدرجة او اخرى، حيث اصبحت هذه الممارسة جزءا لا يتجزأ من الممارسة والثقافة الديمقراطية ،والمسح او استطلاع الرأي في جوهره هو توجيه مجموعة من الاسئلة حول قضية معينة لعينة من الناس يتم تجميعها وحسابها كرقم من السكان ككل ثم استقراء وتحليل اجابات العينة والخروج منها بمؤشرات على اتجاهات وآراء المجموعة الاكبر حول ذات القضية، وهذه العينة اما ان تكون عشوائية او وفق قواعد انتقائية معينة .

لقد انتشرت هذه المسوح بشكل غير مسبوق عن طريق الانترنت حيث سقطت كل الحواجز التي قيدت انتشار آلية المسوح واستطلاعات الرأي، فمع الانترنت لم تعد الجهات القائمة على اجرائها مقصورة تقريبا على مؤسسات متخصصة محدودة العدد بل اصبح في متناول كل هيئة او جهة او حتى شخص هاو او مراهق ان يعد بنفسه ولنفسه استطلاع الرأي الذي يرغب فيه، ولم تعد الموضوعات التي يجري الاستطلاع حولها مقصورة على قضايا السلم والحرب وغيرها من القضايا الكبرى ،بل شملت كل شيء من التشكيك في شرعية الرؤساء ونظم الحكم وانتهاء بأداء شفرات الحلاقة وقدرتها على تنعيم الوجه ،أما التكلفة فكادت تقترب من الصفر .

لقد وفرت الانترنت مرونة فائقة لم تحققها أي اداة اخرى من ادوات اجراء المسوح واستطلاعات الرأي ،إذ يمكن بسهولة تغيير موضوع الاستطلاع والاسئلة في لحظات لتتناسب مع الاحداث الجارية على مدار الساعة وليس على مدار اليوم، بمعنى ان الموقع الواحد قد يجري استطلاعا للرأي في موضوعات مختلفة في يوم واحد، أو يجري اكثر من استطلاع للرأي حول قضايا مختلفة بشكل متزامن،

وبإمكان أي موقع ان يربط ما بين ادائه الاخباري والسياسي _ان كان موقعا سياسيا_وبين طبيعة استطلاعات الرأي التي يتناولها في اللحظة الراهنة .

وهكذا نرى ان المسوح واستطلاعات الرأي على الانترنت اصبحت الآن اداة شعبية رخيصة شائعة الانتشار وفي متناول الملايين من المواطنين يعبرون من خلالها عن اتجاهاتهم حيال أي قضايا سياسية او اقتصادية او مجتمعية مطروحة على الساحة .

أما على مستوىالانشطة السياسية الميدانية والجماهيرية الديمقراطية كما تتمظهر عبر الانترنت فقد ذكره المؤلف بشكل مفصل حيث يقول بان الجماعات السياسية المختلفة بدأت تلجأ للنظام العصبي الرقمي للاتصالات في ادارة انشطتها وعملياتها المختلفة ومن هذه الممارسات التي يقدمها الانترنت في هذا المجال بتلخيص شديد[1]: الدعاية والاعلان، والتنقيب عن المعلومات والرسوم البيانية والتمويل والتجنيد والحشد وتحقيق الترابط بين الجماعات السياسية عبر الانترنت وتبادل المعلومات والافكار والمقترحات والمعلومات الميدانية حول القضايا المختلفة التي تنوي التظاهر والاحتجاج عليها ثم التحطيط والتنسيق على المستوى المعلوماتي والعملياتي بشكل اكفأ وادق وارخص واسرع واوسع نطاقا .

ولعل من ابدع ما تقدمه الانترنت للديمقراطية والمجتمع المدني هي ما سماه المؤلف المجتمعات الخائلية، وهي مواقع على الشبكة تمثل نقطة التقاء لمجموعة من الاشخاص يتواصلون معا من خلالها باستخدام

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص105-106

نظم القوائم البريدية او التراسل الفوري والمحادثة والدردشة والحوارات المطولة ومجموعات الاخبار وغيرها من اساليب التواصل الجماعي عبر الشبكة ويكون القاسم المشترك بينهم قضية ذات اهتمام مشترك او التخصص المهني او التوافق في الهوايات والاهتمامات، وبمرور الوقت تنشأ بين المشاركين او الاعضاء في الموقع علاقات وثيقة على مستوى الفكر وعلاقات العمل والقناعات والآراء فيتشكل ما يطلق عليه المجتمع الخائلي الخاص بقضية، لأنه يوجد فقط على الشبكة وليس في العالم الواقعي، وتشكل المجتمعات الخائلية عبر الانترنت ظاهرة لافتة للنظر لكونها تستقطب اهتمام الملايين من الاعضاء النشطين في مختلف المجالات والتخصصات ما بين اطباء وفنانين وباحثين وطلاب وسياسيين وجماعات مدنية بعدما اثبتت جدواها في تكوين علاقات قوية بين اعضائها تتعدى مجرد تبادل المعلومات المفيدة الى حل بعض المشكلات مثل المرض او الازمات المالية واخيرا المشاركة السياسية واستخدام الحقوق الديمقراطية في ممارسة الكثير من الفعاليات والانشطة الايجابية ،

ويقول الخبراء ان فكرة الدردشة نفسها هي فكرة حرة ولكن بمجرد ان يكتشف المتحاورون بعض الصلات والروابط فيما بينهم فانهم يميلون الى بناء مجتمعات خاصة بهم هذه المجتمعات هي بمثابة أماكن يتشاركون فيها رؤاهم وافكارهم ويتناقشون حولها .

وبناء على ما حققته المجتمعات الخائلية من نضج وفوائد يتوقع الكثير انه بعد ان يصبح وجود البشر على شبكة الانترنت امرا روتينيا، فمن غير المستبعد ان تصبح فكرة كون الانسان عضوا في احد

مجموعات الانترنت اكثر شيوعا وقبولا في تفكيره في ان يكون عضوا في المجتمعات المدنية الحالية، وفي مقدمتها الاحزاب السياسية والمنظمات المعنية بالشأن الديمقراطي ليمارس كل انشطته وفعالياته على الانترنت بحرية اكبر وسهولة ويسر

ومن اهم الاستنتاجات في هذا المجال التي ذكرها المؤلف انه من الممكن ان تلعب التكنلوجيا الرقمية في تجديد الفكر الديمقراطي نفسه وليس فقط في تجديد ادوات الممارسة الديمقراطية، وهناك بالفعل العديد من الدلائل المبكرة على صحة هذه التوقعات من بينها الآراء التي تقول ان التكنلوجيا الرقمية افرزت العديد من القيم الجديدة، كالتوجه للمواطنين بشكل رأسي وقطاعي مصغر بديلا عن التوجه الجماهيري العام ،والتوجه نحو اللامركزية بدلا من المركزية ،والتوجه نحو العالمية على حساب القوميات المحلية والتوجه الى الغاء التخصصية وإلغاء العديد من الوسائط في العملية الديمقراطية، والتوجه نحو الغاء الخطاب الجمعي والتركيز على الخطاب المفتت الذي يصل لمستوى مخاطبة كل مواطن على حدة .

3- العولمة الاقتصادية عبر الانترنت

التجارة الالكترونية

لا يمكننا اذا اردنا بحث موقع التجارة الالكترونية عبر الانترنت الا ان نعود الى بداية دخول الانترنت في ساحة التجارة بعد ان كانت اساسا للقضايا العلمية والعسكرية وكانت رابطا بين الجامعات ومراكز البحوث، بل ان مؤسسي الانترنت الاوائل كانوا يقفون موقفا حازما ضد أي نشاط تجاري او تسلل اعلاني او اعلامي ،مما صح

وصفها آنذاك[1] بـ الطهارة المعلوماتية- ، أي انها تقدم المعلومات العلمية لا لغرض تجاري، إلا أن القوى الاقتصادية التقليدية أدركت المزايا العديدة التي يمكن ان تقدمها شبكة الانترنت من حيث قدرتها الفائقة على ربط مصادر الانتاج بمنابع الطلب وكونها وسيلة فعالة لنقل بضائع صناعة الثقافة عبر طرق معلوماتها الفائقة السرعة، مما دفعها الىاستغلال هذه الشبكة وتدنيس طهارتها المعلوماتية ببضائع ومراسلات وتعاقدات وغيرها حتى تحولت الشبكة الى متجر الكتروني وبوق اعلاني ومنافذ للتوزيع وساحة لبحوث التسويق.

على ان للعولمة الاعلامية والسياسية دورها في سحب الاقتصاد ذاته الى العولمة الاساسية حيث ان[2] النمو الهائل في اقتصاديات الاعلام والاتصال والمعلومات افضى الى مزيد من التداخل بين عولمة الاعلام وعولمة الاقتصاد او الثقافة، بل ان عولمة الاعلام ذاتها اصبحت جزءا من عولمة الاقتصاد وذلك بالنظر الى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والاعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والاسواق العالمية، فالاعلام اصبح صناعة وقطاعا مؤثرا في الاقتصاد العالمي حيث يمثل هذا القطاع 40٪ من الانتاج الصناعي العالمي ويضم اكثر من 60٪ من اليد العاملة في العلم الصناعي .

لقد كان لتقدم ظاهرة العولمة المترافق مع ثورة تكنلوجيا الاعلام والاتصال وعصر المعلوماتية ان ادى الى [3] انفتاح الفضاءات الاقتصادية حيث جعل من شبكات الاعلام والاتصال القلب النابض

---

(1) لثقافة العربية وعصر المعلومات ص96

(2) الاتصال الدولي والعربي ص91

(3) التكنلوجيا والاعلام والديمقراطية ص24

للاقتصادات الوطنية ولا سيما المتقدمة منها.

ولو حاولنا ان نبدأ موضوع التجارة الالكترونية لرأينا ان هناك تعددا كبيرا في تعريفاتها حيث تعد ظاهرة التجارة الالكترونية عبر شبكات الانترنت ظاهرة حديثة نسبيا ومن هنا تعددت تعاريفها لان كل تعريف يصف ويحدد طبيعة هذه التجارة باعتبار مكوناتها، ومن هذه التعريفات الواردة على صفحات الانترنت وتحت عنوان التجارة الالكترونية القول {ربما يرجع تعدد هذه التعريفات الى ان تطبيقات التجارة الالكترونية تشتمل على عدة مكونات لابد من توافرها لتنفيذ عمليات التجارة الالكترونية مثل استخدام الحواسيب الآلية وتقنية الاتصالات ونظم المعلومات والبرمجيات ،ومفهوم التجارة الالكترونية بعامة يندرج تحت مفهوم اوسع يسمى بالاقتصاد الرقميDigital economy –حيث يشمل القطاعات الالكترونية والقطاعات المنتجة والمستخدمة لتقنية المعلومات واجهزة الاتصالات وقطاعات خدمات الاتصالات.

ومن تعريفات التجارة الالكترونية المتداولة في ادبيات هذه الظاهرة انها : ممارسة تجارة السلع والخدمات بمساعدة ادوات الاتصال وغيرها من العلاقة بالاتصالات، ويعرفها آخرون بأنها : اتمام أي عملية تجارية عبر شبكات الحاسب الآلي الوسيطة مثل عملية البيع والشراء)[1].

على ان هناك من يعرفها بالقول {تمثل التجارة الالكترونية واحدا من موضوعي ما يعرف بالاقتصاد الرقمي حيث يقوم الاقتصاد

---

(1) التجارة الالكترونية في الدول الاسلامية –التحديات والواقع–الانترنت

الرقمي على حقيقتين : التجارة الالكترونية وتقنية المعلومات، فتقنية المعلومات او صناعة المعلومات في عصر الحوسبة والاتصال هي التي خلقت الوجود الواقعي والحقيقي للتجارة الالكترونية باعتبارها تعتمد على الحوسبة والاتصال ومختلف الوسائل التقنية للتنفيذ وادارة النشاط التجاري، والتجارة الالكترونية E_commerce هي تنفيذ وادارة الانشطة التجارية المتعلقة بالبضاعة والخدمات بواسطة تحويل المعطيات عبر شبكة الانترنت او الانظمة التقنية الشبيهة، **ويمتد المفهوم الشائع للتجارة الالكترونية بشكل عام الى ثلاثة انواع من الانشطة :**

الأول : خدمات ربط او دخول الانترنت وما تتضمنه خدمات الربط من خدمات ذات محتوى تقني ومثالها الواضح الخدمات المقدمة من مزودي خدمات الانترنت internet services providers

والثاني : التسليم او التزويد التقني للخدمات

الثالث : استعمال الانترنت كواسطة او وسيلة لتوزيع الخدمات والبضائع والخدمات المسلمة بطرق غير تقنية –تسليم مادي عادي، وضمن هذا المفهوم يظهر الخلط بين الاعمال الالكترونية والتجارة الالكترونية واستغلال التقنية في انشطة التجارة التقليدية، وفي الواقع التطبيقي فان التجارة الالكترونية تتخذ انماطا عديدة، كعرض البضائع والخدمات عبر الانترنت واجراء البيوع بالوصف عبر مواقع الشبكة العالمية مع اجراء عمليات الدفع النقدي بالبطاقات المالية او بغيرها من وسائل الدفع وانشاء متاجر افتراضية او محال بيع على الانترنت، والقيام بانشطة التزويد والتوزيع والوكالة التجارية عبر الانترنت، وممارسة الخدمات المالية وخدمات الطيران والنقل والشحن

وغيرها عبر الانترنت)[1]

لقد صنفت التجارة الالكترونية عالميا في اطار مسعى منظمة التجارة العالمية إلى ايضاح طبيعتها واطارها القانوني ضمن مفهوم الخدمات، وقد تقرر ذلك في التقرير الصادر عن مجلس منظمة التجارة الدولية الخاص بالتجارة في الخدمات بتاريخ 1999/3/17 والمقدم الى المجلس العام لمنظمة التجارة العالمية حيث ذهب التقرير الى ان تزويد الخدمات بالطرق التقنية يقع ضمن نطاق الاتفاقية العامة للتجارة في الخدمات –جاتس- باعتبار ان الاتفاقية تطبق على كافة الخدمات بغض النظر عن طريقة تقديمها، ولأن العوامل المؤثرة على التزويد الالكتروني للخدمات هي نفسها التي تؤثر على تجارة الخدمات، ومن هنا تخضع عمليات تزويد الخدمة بالطرق التقنية الى كافة نصوص اتفاقية التجارة العامة في الخدمات- الجاتس- سواء في ميدان المتطلبات او الالتزامات بما فيها الالتزام بالشفافية، التنظيم الداخلي، المنافسة ،الدفع،والتحويلات النقدية، دخول الاسواق، المعاملة الوطنية، والالتزامات الاضافية .

وفي وصف آخر للتجارة الالكترونية وبيئتها من وجهة نظر تقنيات المعلومات نجد القول او التعريف التالي { فالتجارة الالكترونية انما هي كمبيوتر وشبكة وموقع ومحتوى، كمبيوتر يتيح ادخال البيانات ومعالجتها وتصميم عرضها واسترجاعها ،وشبكة تتيح تناقل المعلومات باتجاهين من النظام واليه، وحلول تتيح انفاذ المنشأة لالتزاماتها وانفاذ الزبون لالتزاماته، حلول او برمجيات التجارة الالكترونية، وموقع على الشبكة لعرض المنتجات اوالخدمات وما

---

(1) التجارة الالكترونية عن الانترنت

يتصل بها ، اضافة الى أنشطة الاعلام وآليات التسويق، ومحتوى هو في ذاته مفردات الموقع من المنتجات والخدمات وما يتصل بها لكن ضمن اطار العرض المحفز للقبول والكاشف عن قدرات الموقع التقنية)[1]

ان الاطلاع على مساحة استخدام الانترنت وتعدد واتساع عدد مواقعها وانعكاس ذلك على التعامل بالمليارات عبر التجارة الالكترونية ، **كل ذلك يعطينا صورة لدور المعلوماتية والانترنت في اعادة صياغة عالم اليوم كله حيث نرى ما يلي :**

زادت صفحات الانترنت عام 2000 على مليار ونصف المليار صفحة ومواقعها على نصف مليون موقع ومستخدميها على نصف مليون، أما المليارات المستثمرة فقد تجاوزت كل التقديرات حيث تشير الارقام ان شركة ديل الشهيرة في عالم الكمبيوتر حققت زيادة كبيرة في مبيعاتها على الخط حيث تضاعفت مبيعاتها عام 1998 وبلغت الزيادة معدل 14 مليون يوميا وفي الربع الاول من عام 1999 بلغت الزيادة معدل 19 مليون يوميا بمبلغ اجمالي قدره خمسة بليون ونصف دولار، في حين بلغت الزيادة معدل 30 مليون في نهاية العام tالقد قدر تقرير التجارة الامريكية لعام 1998 أن اعمال التجارة الالكترونية بين قطاعات العمال –وليس قطاعات التسويق للمستهلك – ستزداد الى 300 بليون عام 2002 لكن ما تحقق في الواقع اكثر من ذلك بكثير، فالتقديرات الجديدة لتقرير التجارة الامريكية لعام 1999 تشير الى ان مقدار عائد التجارة الالكترونية سيبلغ واحد واثنين بالعشرة تريليون عام 2003.

لقد أشار التقرير الامريكي للتجارة الالكترونية لعام 2000 الصادر عن وزارة التجارة الامريكية وعن مكتب الرئيس الامريكي

---

(1) ن م

الى ان حجم انشطة مؤسسات البيع في حقل التجارة الالكترونية بلغ 8،4 بليون دولار في نهاية الربع الثالث عام 2000 وتقول الاحصائيات ان نسبة الزيادة في استخدام الانترنت عموما قد زادت منذ عام 2000-2005 بنسبة 146٪ حيث كان عدد مستخدمي الانترنت عام 2005 يبلغ 888،681 مليون علما ان عدد سكان الارض كان 6،412،076 .

ولو قسمنا مستخدمي الانترنت كما هم عام 2001 لوجدنا الصورة التالية[1] بالمليون:

افريقيا - - - 4، 15

آسيا والباسفيك - - - 143، 99

اوربا- - - 154، 63

الشرق الاوسط - - - 4، 65

كندا والولايات المتحدة - - - 180

( )امريكا اللاتينية - - - 25، 33

الالجمالي العالمي 513، 41

ان العولمة الاعلامية اصبحت تمثل قيمة اقتصادية متنامية خاصة في ظل اقتصاد المعلومات الذي اصبح السمة الاساسية للاقتصاد العالمي، حيث بلغت استثمارات صناعة المعلومات اكثر من 3 تريليونات دولار سنويا بعد ان كانت هذه الاستثمارات لا تتجاوز 350 مليار عام 1980، ويلاحظ انه كان هناك خمسون شركة كبيرة تسيطر على معظم الوسائل الاعلامية الامريكية عام 1983 وتقلص هذا العدد الى 23 شركة عام 1990 وبنهاية القرن العشرين بدأت ملامح تكتلات اعلامية انحصرت في سبع شركات عملاقة، ومع بداية هذا القرن

---

(1) الاتصال والاعلام في العالم العربي في عصر العولمة ص189

سيطرت شركات عملاقة على صناعة الاعلام بكل مكوناتها، وتشير الاحصائيات الى وجود سبعة مجموعات رئيسة كبرى تعمل في الانشطة الاعلامية على مستوى العالم اربعة منها امريكية وواحدة اوربية وواحدة استرالية- امريكية

ولعل من اخطر التقديرات لحساب التجارة الالكترونية على حساب الاعلام هو ما طرحه الدكتور نبيل علي في حديثه عن انعكسات الانترنت على الرسالة الاعلامية حيث يقول { تضيق الهوة – تدريجيا- بين الاعلام والاعلان وتعكس التجارة الالكترونية آثارا واضحة على محتوى الرسالة الاعلامية وان كانت رسالة الاعلام قد استضافت رسالة الاعلان في الماضي، فربما ينقلب الوضع ويصبح الاعلام ضيفا على الاعلان، فمن أجل اقتناص انتباه جماهيره ربما يتضمن الاعلان بعض مواد اعلامية من تلك التي تجتذب المشاهدين ليجعل اعلانه اكثر اثارة ومتعة)[1]

تشكيل الوعي بين تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلومات :

حينما نفكر بتأصيل مسألة توظيف التكنولوجيا لخدمة الايدولوجيا، فإننا لابد أن ننطلق من المباديء والمفاهيم الاساسية أولا لأيدلوجيا الاتصال، وهل التكنولوجيا اذا كانت اتصالية تبقى حيادية في توظيفاتها وغاياتها كما تبدو بدءا، أم انها بمجرد قيامها بخدمة الاتصال تتحول من تكنلوجيا حيادية إلى تكنولوجية ايدلوجية، مهما حاولنا الانكار عليها ذلك .

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص393

ولو بدأنا من مفردة بسيطة تقول { كلما كان هناك اتصال فثمة حتما ايدلوجية، ان لم تكن واضحة، فضمنية مبطنة بالقطع، فالاتصال –تقنيات –ومضامين- لا تستنبت في بيئة جرداء، او في فضاء عقيم، بقدر ما هو افراز لسياق ثقافي واجتماعي منبن بالضرورة في شكله كما في الجوهر، على تمثل للذات وتصور معين للكون، واذا كان من المسلم به في تاريخ تقنيات الاتصال تحديدا، ان الأداة تبقى في الغالب الأعم وإلى حد بعيد براء من الاستخدام الذي يترتب على استعمالها، فإنه من الثابت أيضا وفق ما تقدمه سوسيولوجيا الاتصال أنها تبقى لدى وضعها على المحك مكمن حمولة رمزية تبني ما نسميه في هذا النص ايدلوجيا الاتصال، والأيدلوجيا التي نقصدها في هذا المقام ليست فقط لصيقة بالاتصال ملازمة له على مستوى المضامين ،مضامين الرسالة التي تطبع علاقة الباث بالمتلقي، بل هي كامنة أيضا في البعد الأدواتي الذي يطبع هذه العلاقة ويؤسس لمرتكزاتها)[1].

إذن كل رسالة اتصال عبر اداة تكنولوجية لابد ان تحمل معنى من معاني الأثير بهدف وغاية محددة، ومن هنا فكل اتصال هو اتصال أيدلوجي –فكري، ومن هنا أيضا تتحول الأداة الاتصالية الحيادية إلى اداة ايدلوجية بنفس الوقت.

ان شاشة التلفزيون وسيلة عرض لا اكثر، ولكنها حينما تخدم مضمونا معينا فإنها تتلبس به وتأخذ صفته وبهذا تتحول من تكنولوجية فقط إلى تكنلوجيا ذات طابع ايدلوجي، وقد تتضامن التكنولوجيا مع الأيدلوجيا حينما يكون هدف الاتصال ذا طابع معين، وهذا يؤكد الحقيقة التالية { لا تتقاطع التكنولوجيا مع الأيدلوجيا

---

(1) التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص39

فقط لانها من نتاج وجهد بين البشر ولا لاعتبارهما –أداتين- لخدمة واقع قائم او مراد له ان يقوم، ولكن أيضا لانهما غالبا ما يعبران عن حاجة مجتمعية آنية أو مستقبلية –تتضامن- التكنولوجيا بموجبها مع الأيدلوجيا لإشباعها . ليس من باب الشذوذ تقاطع الفضاءين، فضاء التكنولوجيا وفضاء الأيدلوجيا، ولا من الشذوذ في شيء تفاعلهما معا، لكن الشاذ في –العلاقة- .هذه انما يكمن في مصادرة الأيدلوجيا لماهية التكنولوجيا والتحايل عليها، في المختبر كما في السوق، بغرض الالتفاف على تطبيقاتها او تحويل وظائفها او تسخير ادواتها)[1].

هكذا نجد انه لن يتعذر علينا القول ان تكنلوجيا القطاع – السمعي- البصري- والتلفزة اساسا انما تقوم بأيدلوجيا التوظيف لصالح المستخدم وبهذا تطبع الأيدلوجيا التكنولوجيا بطابعها، فالاذاعة في الحقبة النازية تحولت من وظيفة الاستعمال إلى مهمة التوظيف، فكانت أداة تضليل إعلامي ندر مثيلها في تاريخ البث الإذاعي .

وهكذا تحولت التكنولوجيا الاتصالية إلى خادمة بامتياز لايدلوجيا الاختراق، اختراق نظم وقيم وتمثلات مختلف شعوب الأرض، واذا كانت هذه الأيدلوجيا في عصر العولمة التي لا تعترض بخصوصية جغرافية معينة،ـ وانما تمتد على سطح الأرض كلها ،فإن هذه التكنولوجيا تكون اداة سيطرة وتوجيه وتغيير سلوك وقيم لا يمكن السيطرة عليها او ردعها، فكيف اذا ما كانت اداة تكنولوجية مثل الانترنت التي لا تكتفي بإيصال الرسالة بصمت وانما تفتح باب التفاعل والمشاركة بين المتلقي ومضمون الرسالة ليتم الهدف لا من ايصال الرسالة فقط وانما من احداث تاثير على وعي المستلم وسلوكه .

---

(1) ن م ص47

ولو نزلنا قليلا إلى الواقع العملي وقبل ظهور الانترنت لرأينا أن الرسالة الإعلامية قبل عولمتها كانت تتحكم في التكنولوجيا وتوظفها توظيفا خاصا بمن يملكها ويقودها .

يقول هربرت شيللر عن واقع الإعلام الامريكي –اكبر اعلام في العالم- في مقدمة كتابه المتلاعبون بالعقول {يقوم مديرو اجهزة الإعلام في امريكا بوضع اسس عملية تداول –الصور والمعلومات- ويشرفون على معالجتها وتنقيحها واحكام السيطرة عليه –تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا ،بل وتحدد سلوكنا في النهاية، وعندما يعمل مديرو اجهزة الإعلام إلى طرح افكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول ،ذلك ان الأفكار التي تنحو عن عمد إلى استحداث معنى زائف وإلى انتاج وعي لا يستطيع ان يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة او يرفضها –سواء على المستوى الشخصي او الاجتماعي –ليست في الواقع سوى افكار مموهة او مضللة ....ويضيف...ففي داخل البلاد تنعم صناعة –توجيه العقول- بفترة نمو استثنائية، ولقد أظهرت الحملة الانتخابية القومية عام 1972 بعض الشواهعد المبكرة لما هو آت عن طريق تعليب الوعي . ومع ذلك فإن المهم ان نتذكر ان الوسائل التكنيكية للسيطرة على المعلومات والصور والتي بلغت درجة عالية من التطور في واشنطن الحالية لها سوابقها، ففي التحكم او السيطرة من خلال الاستمالة والاقناع لم يظهر إلى الوجود هكذا دفعة واحدة، فلقد مثل الجهد الذي كلل بالنجاح لاقناع الشعب الامريكي عام 1945 أي قبل عهد نيكسون بما يزيد على عقدين من الزمان، بأن وجوده اليومي تتهدده المخاطرلا بسبب الاقتصاد الروسي الذي دمرته الحرب واستنزف

كلية –مثل خطوة هائلة نحو تبلور –توجيه العقول- .. ومنذ ذلك الحين ساعد التقدم في تكنولوجيا وسائل الاتصال على ظهور أشكال أكثر تعقيدا من التضليل الإعلامي ..

وفي الوقت الحاضر يعزف مهرجان وسائل الإعلام القومي الحانه بقيادة وكلاء اقتصاد الدولة الرأسمالي المقيمين في المكاتب التنفيذية للبيت الابيض، وفي مكاتب العلاقات العامة ووكالات الإعلام بشارع ماديسون، وهناك ما يبرر الاعتقاد بأن عمليةادارة وتوجيه المعلومات سوف تشهد المزيد والمزيد من التنظيم على ايدي المتحكمين في وسائل الإعلام في السنوات القادمة، ان تدفق المعلومات في مجتمع معقد هو مصدر لسلطة لا نظير لها، وليس من الواقعية في شيء ان نتصور ان التحكم في هذه السلطة سوف يتم التخلي عنه عن طريق طيب خاطر)[1] .

وفعلا تحققت نبوءة شيللر الذي كتب هذا قبل وجود الانترنت بعقدين من الزمن، تحققت هذه النبوءة بعد ان دخل الكبار من الاقتصاديين والرأسماليين من باب العولمة على الانترنت مستخدمينه لا كوسيلة اتصال معرفي فقط، وانما وسيلة للتجارة الالكترونية كما استخدمه السياسيون الكبار للمناداة بالديمقراطية الالكترونية، أما الإعلاميون فقد استخدموه ضمن ما استخدموه لنشر الصحافة الالكترونية وتوزيعها على العالم اجمع بعد ان كانت الصحافة الورقية لا تتجاوز في توزيعها ومخاطبين لبضعة دول فقط .

من هنا نستنتج كتكنلوجيا اتصالية قد وظفت لاهداف السيطرة على الوعي الانساني في المجالات كافة بعد ان كان اداة من

---

(1) المتلاعبون بالعقول ص5

ادوات العولمة حيث انتهت الجغرافيا إلى فضاء العالم كله، واصبح الوعي الانساني لا يخاطب بلغة وأيدلوجيا واحدة بل انه استغرق كل الأيدلوجيات، واستخدم الاغراق المعلوماتي كأداة من ادوات السيطرة والتوجيه لعقول البشر، ففي الوقت الذي ترك له الخيار في فضاء معلوماتي لانهائي، إذا به يغرق في حيرة المتاهات للمضامين والرسائل المختلفة المتنوعة تنوعا يقود في كثير من الاحيان إلى التناقض لا الوحدة في مسارات معينة خطط لها ايدلوجيون كبار من الساسة والاقتصاديين والإعلاميين في الدول المتقدمة التي لها المساحة الكبرى والمواقع الاكثر عددا على صفحات الانترنت هذه .

الانترنت –اداة سيطرة عولمية:

حينما نراجع بعض مفاهيم العولمة التي يعبر عنها البعض بأنها (مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي يعكس ارادة الهيمنة على العالم) وانها (آلية يمكن ان تؤدي بشكل متسارع إلى نشوء نظام عالمي جديد بواسطة ثلاثية –تكنلوجيا ورأس المال والادارة وتشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والاعراق ليؤسس القرية الكونية الجديدة التي تقوم على ثورة الكمبيوتر والاتصالات والثورة المعلوماتية والاسواق المفتوحة والشركات متعددة الجنسيات لتوحيد الانسانية)[1]

ولو القينا نظرة على المساحة التي تشغلها الدول المتقدمة على شبكة الانترنت سواء كمستخدمين او كمواقع فإننا ولاشك سنعرف حقيقة ما يجري في صناعة الوعي الانساني ،وتشكيله ضمن اطارات محددة تخدم هذه الدول والاحتكارات والرأسمالية التي تنادي بها .

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص86

ان مواقع الانترنت باللغة الانكليزية تشكل 82٪وقد يصل إلى 90٪ اذا اضفنا لها اللغة الالمانية والفرنسية، كما ان انتاج الالكترونيات لخدمة الانترنت ووظيفته تشكل 45٪ بين اوربا وامريكا واكثر، كل هذا مضافا اليه سيطرة وكالات الانباء العالمية الاربع على مصادر الخبر هذا وغيره يعطينا الصورة الواضحة لسيطرة هذه الدول على مجال البث الإعلامي وشبكة الانترنت بما يقود إلى توجيه العقول وسياستها بل وتضليلها كما تشاء لتبعية دول الجنوب والعالم الثالث لهذه المعطيات الإعلامية عموما والتجارية خصوصا .

ان كل هذه المقدمات تطرح مفردات اساسية على واقع العولمة الإعلامية والاقتصادية والسياسية والثقافية على سطح الأرض،

فماذا يستنتج الباحثون في هذا المجال من هذه الارقام والحقائق ؟

في اجابة مبسطة يتحدث احد الباحثين عن هذه الاستنتاجات قائلا : (1)

1- تمركز المصادر الإعلامية والثقافية والمعرفية من حيث الانتاج والتوزيع بكافة اشكاله في الدول التي تحتكر مصدر القوة الاقتصادية والعسكرية .

2- ان التدفق الشامل للانباء والمعلومات يأخذ طريقه من العالم الصناعي الذي يضم ثلث سكان العالم إلى العالم النامي الذي يضم ثلثي سكان العالم، وان اكثر من 80٪ من الانباء الموزعة

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص95

يوميا في العالم تتولى انتاجها وكالات عالمية لا يتجاوز عددها خمس وكالات فقط

3- ان الصراع المستقبلي سيكون موجها للسيطرة على الحاسوب والتلفزيون والهاتف التي يمكن صهرها على الانترنت، ولهذا سيكون بإمكان المجموعة التي تسيطر على تقنية الانترنت ان تسيطر على العالم مستقبلا.

4- يتجه السوق والمنافسة في هذا العصر عمليا وفقا لنظرية داروين – البقاء للاصلح- وهذا يعني ان الدول والامم والشعوب التي لا تقدر على المنافسة، سيكون مصيرها الانقراض، وهذا يعود إلى الفجوة الكبيرة بين الدول المتقدمة والنامية في مجال تكنلوجيا الإعلام والاتصال .

5- وجود تغييرات كبيرة في الخريطة الإعلامية الدولية متمثلة بالانفجار النوعي والكمي لآليات التحرير والتوزيع للانتاجات المرئية والصوتية، وبروز مجاميع بيانات الاتصالات العالمية، وتطوير انتاجات الترفيه والتسلية والمعلومات للذوق العالمي وليس المحلي .

6- نجح العالم الصناعي في تحويل صناعة الإعلام من صناعة كثيفة الابداع إلى صناعة تقليدية كثيفة رأس المال ،حيث أن اخطر انواع الاحتكار هو احتكار الانتاج الإعلامي واحتكار مضمون الرسالة الإعلامية .

7- بروز ظاهرة العامل التقني المتمثل في التقدم الهائل في تكنلوجيا الكمبيوتر وتكنلوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالاقمار

الصناعية وشبكات الالياف الضوئية واندماج هذه العناصر في توسيطات اتصالية عدة ابرزها شبكة الانترنت .

هذه هي صورة العولمة الإعلامية والاقتصادية والسياسية التي يحققها الانترنت في عصرنا الحاضر

إن القاء نظرة على وظائف اعلام العولمة يعطينا صورة عن الوعي الناشيء عنها ، فقد تطورت وتغيرت وظائف الإعلام وقد حددها احد الباحثين بشكل مركز حيث قال :

1- اشاعة المعلومات وجعلها ميسورة للجميع بدون مقابل ،بحيث يستطيع الحصول عليها أي فرد او جماعة او فئة ، وبمعنى آخر خلق وبناء قاعدة معلوماتية واحدة يستخدمها الجميع ويتعامل معها كمصدر رئيسي لتقييم النتاج الثقافي والمعرفي والعلمي ، وبذلك يتمكن الإعلام من دعم ظاهرة العولمة ، وتعميق منطقها وجعلها اكثر قبولا ومدعومة بقاعدة معلوماتية منتشرة وبتقنية معلوماتية متطورة .

2- اذابة الثقافات الوطنية والقومية وتقليص الحدود الفاصلة بين المكونات المذكورة ومكونات العولمة التي تنتمي إلى مصدر واحد ولغة مركزية واحدة وبنية ثقافية مشتركة ، وقد نجح الإعلام فعلا في نجسيد الوظيفة المذكورة وجعلها اكثر فعالية وتمثلا لمنطق العولمة ومضمونها ، بفعل التقنية الرقمية والاقمار الصناعية التي تملك القدرات البث المباشر دون وسيط إلى الجمهور المعني او اية بقعة جغرافية على كوكب الأرض .

3- تنمية مولدات التماثل بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات ، وقد تمكن الإعلام إلى حد ما ، في بناء مكونات التماثل الاولية في

مجالات عدة كالاندماج والانتاج والتوحد ،وبصورة ملفتة للنظر امتدت هذه المكونات إلى البرنامج الترفيهي والتقني والعلمي ونماذج النشر والبث الرقمي، وبناء مفاهيم مشتركة حول العولمة ومظاهرها المتمثلة بشبكات المعلومات، وشبكات الاتصالات، والتغطية الإعلامية للاحداث العالمية مباشرة بأبعادها الثلاثة، المضمون، والمكان، والزمان

لقد استعرض احمد مصطفى النقاط المذكورة بصورة مقاربة جدا لمضمون اعلام العولمة فقد اشار إلى (أن التنميط الثقافي يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الافتصادي الانتالجي، والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الاموال ،كما ان التنميط او التوحيد الثقافي للانسانية مع البناء الاقتصادي المعلوماتي، ومن هنا اتخذ المفهوم الثقافي للعولمة بعدا اقتصاديا واعلاميا حيث الاعلام هو أداة التوصيل والتأثير بالأفكار الثقافية التي يراد لها الذيوع والانتشار).

وفي أطار تذويب الحدود يضيف مصطفى بان اعلام العولمة هو اعلام وطن، فالفضاء اللامحدود مثلا هو الوطن الجديد للعولمة، فهو أيضا وطن لاعلامها، انه الوطن الذي تبنيه شبكات الاتصال الالكترونية وتنتجه الالياف البصرية وتنقله الموجات الكهرومغناطيسية . وفي شأن وظيفة التماثل يقول مصطفى –استطاع الإعلام في عصر العولمة بوسائله التي تتخطى كل الحدود ان يعمل على تحويل المجتمعات والبيئات الداخلية للدول إلى مجتمعات وبيئات عالمية ،وهو أمر أثر في السياسات الدخلية وصانعيها في الدول المختلفة، فلم تعد قراراتهم ومواقفهم وتصريحاتهم خافية على عيون الإعلام وحتى عندما تستحكم الازمات والمشكلات الداخلية يتجه الناس اليه أي إلى الإعلام ليتعرفوا

على ما يدور في ببلادهم ،وبذلك اصبح الإعلام احد اهم ادوات العولمة في تهيئة البنية الاجتماعية وأنساقها المختلفة الاقتصادية ،الثقافية، السياسية، والمعرفية للتفاعل مع شروط ومتطلبات بناء اسس مجتمع العولمة الجديد)[1]

ان بعض الباحثين يعتقد ان من سلبيات العولمة على المستوى الإعلامي والثقافي هي مسألة التماثل والتنميط فيقول (العولمة الإعلامية تسعى من خلال تكنلوجيا الثورة الاتصالية إلى نشر –مبدأ التماثل- وتحميه ليصبح بذلك امرا واقعا، وتحويل المجتمع إلى كتل متشابهة).

- تنميط الحياة اليومية بحكم فراغ ما يسمى بالخيال الجماعي وخوائه وظهور نمط واحد من الواقع المعيشي يتصف بالتماثل السكوني وهكذا نجد العولمة الإعلامية تركز هذا اليوم على حوادث العنف بين الجيران وقصد ضحايا القتل وحوادث الطرق والحرائق والدعارة ...الخ ويتم مقابل ذلك اغفال عدد من مشاكل البشرية وتباين اهتماماتها والتحكم فرمستويات الانسان

- تنميط المشاعر الانسانية والتحكم في تشكلها وفق منطق معين في الاولوية والأهمية، فالتحكم الإعلامي في المشاعر البشرية وتحديد اهميتها وبرمجة أولويتها هو تحكم في الخيال الجماعي وبالتالي تحكم في ثقافات الشعوب

- تعميق وظيفة –التشيؤ- باحلال عالم الموضوعات محل العالم الانساني محل الذوات والاشياء محل الافراد باختزال القيمة الانسانية إلى قيمة سلعية

---

(1) علم اجتماع الإعلام ص130-131

- تعميق ثقافة الاستهلاك وجعل الثقافة مجرد -سلعة- لتسطيح الحياة)[1]

ولاشك ان عملية التنميط والتماثل والتوحيد لخلق انسان بشكل واحد انما هو من اخطر عمليات العولمة الإعلامية والتي تخلق وعيا موحدا نتيجة لها وهذا التنميط في الحقيقة هو من بديهيات ايدلوجيا الاتصال القديم والحديث الا ان قدرة التكنلوجيا الحديثة والانترنت جعلت التنميط والتجانس يصل إلى مستوى عالمي بعد ان كان على مستوى المواطن للدولة المعنية المخاطب بالإعلام التقليدي، أي ان التنميط والتماثل هو معطى اساسي لكن جعله على مستوى كل البشر باعتبارهم مخاطبين بوسيلة واحدة وشكل واحد هو الذي يعطي خطورة توحد الوعي وتزييفه .

يقول احد الباحثين وهو يحلل ايدلوجيا الاتصال ومعطياته {اما المعطى الثاني فيكمن فيما نتصور في الطابع التوحيدي الذي تدفع به ايدلوجيا الاتصال وتجعل الافراد والمجتمعات بموجبه -كتلة واحدة- منصهرة او يراد لها ان تنصهر في فكرواحد وثقافة واحدة ونموذج للتمثل واحد ،لا تتغيا ايدلوجيا الاتصال وفق هذا التصور خلق انسان واحد بمواصفات واحدة فحسب، بل وتجنح في حالة تعذر ذلك إلى استنبات مباديء وقيم من ذلك النموذج -الليبرالي اساسا منذ مدة - بغرض خلق ثقافة للتوافق والتراضي تضمن لهذا الفكر الانسياب بعد ماتكون قد ضمنت له الأرضية والفضاء ،

واذا كانت -ثقافة التبرير -ثقافة التلفزة والسينما والاشهار بالاساس هي المهيمنة في هذا السياق فلأن القوة والنجاعة فضلا عن ذلك

---

(1) الاتصال الدولي والعربي ص96-97

لموسطة العلاقات الاجتماعية وصياغة الاحساس الجماعي بانه ان لم يكن موحدا كما في حالة الاشهار فهو حتما غير متباين بالحدة التي تتميز بها –نظريات الطبقات المتطية للتلفزة وإلى حد ما للسينما – وبالتالي فتموقع ايدلوجيا الاتصال بين الجماعة وواقعها لا يعطي السلطة المتحكمة امكانية صياغة الاحداث صياغة واحدة فحسب بل ويمنحها أيضا سبل تحويل الصورة ذاتها إلى حقيقة لا تقبل الطعن او المزايدة او التشكيك)[1] .

وهكذا يصدق القول على تأثير الانترنت كوسيط اعلامي والمعلوماتية كمضمون اعلامي ما قاله احد الباحثين عن الإعلام عموما {يعتبر العلم بفلسفته العريضة وبوسائله المتطورة اقوى ادوات الاتصال الحديثة التي تعين الفرد على معايشة عصره والتفاعل معه وهو الذي يشكل عقول البشر ويوجه اذواقهم ورؤيتهم للحياة حيث ادت ثورة المعلومات وما واكبها من تقدم تكنلوجي إلى تعرض الفرد إلى مساحات مضاعفة من الإعلام)[2] .

هكذا يؤثر الانترنت والإعلام عموما على تشكيل الوعي في عصر العولمة الذي نعيشه وصولا إلى نهاية المجتمعات الرقمية والانسان الرقمي .

استنتاجات عامة وعربية:

بعد ان رأينا الطابع السياسي والاقتصادي والإعلامي الذي يطبع عمل الانترنت في عصر العولمة، وبعد ان رأينا القدرة والسيطرة الكبيرة التي تتمتع بها الشبكة على المبحرين عليها، وبعد ان رأينا ان

---

1 –التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص40

(1) الإعلام والسياسة ص215

ثورة المعلوماتية وثورة تقنية الاتصالات توظف توظيفا سياسيا واقتصاديا لصالح الدول المتقدمة بما تحمله من نماذج خاصة للاقتداء بها تصدر للعالم الثالث والعالم العربي منه ،

لابد ان يطرح علينا –اعلاميين وسياسيين واقتصاديين – قادة ومحكومين، مهمة المشاركة الفاعلة في ممارسة حقنا المتاح على هذه الشبكة، وذلك بزيادة مساحة المشاركة اولا والتي لم تصل حتى الان سوى إلى 4٪ فقط للوطن العربي من النسبة العالمية في حين ان مساحة المشاركة الصهيونية وحدها تتجاوز هذه النسبة مع قلة سكانها مما يؤكد الاهتمام الاستثنائي لهذه الشبكة في التأثير العالمي.

كما ان العولمة بما انها تستخدم الانترنت لالغاء الحدود والقيود بما فيها الخصوصيات القومية تعمل على الغاء الهوية بل وطرح النموذج الامريكي خاصة في الليبرالية والاقتصاد الحر، كل ذلك يضع على القيادات العربية خاصة والشعب العربي عموما ان يدافعوا عن خصوصياتهم الحضارية والقومية والدينية بالتكيف مع مستجدات العصر اولا وبالعمل وفق آلياته التقنية والمعرفية لتعميق الفكر العربي والتراث العربي وتوظيفه توظيفا علميا واعلاميا لخدمة وحدة الشخصية العربية وخصائصها المعروفة .

ولا شك { ان السياسة الإعلامية لا يمكن ان تنفصل عن حقيقة التطور الحضاري الإعلامي، لأن السياسة الاعلامية وجه من وجوه السياسة بمعناها الشامل، فالسياسة صناعة الحضارة، والإعلام محور جوهري من محاور هذه الصناعة الكبيرة، فالثورة الإعلامية لها ابعادها الفقهية والايدلوجية والمؤسسية والمضمونية ،وهذه الثورة كما وصفها ماكلوهان بانها –ثورة الوعي الانساني الكلي، وثورة التكامل

الانساني الكلي اللتين يمكنهما بهما ان تطور الانسانية كمدنية حضارية واحدة)[1]

ان انعكاس مفردات هذا البحث –أي دور الانترنت - على الواقع الإعلامي العربي يعطينا صورة كئيبة لهذا الإعلام وقد شخص الدكتور نبيل علي ايقاع ثورة الإعلام والاتصال على الواقع العربي حينما كتب تحت عنوان الصدمة الإعلامية يقول { يعيش اعلامنا العربي صدمة اعلامية على مختلف المستويات –السياسية والتنظيمية والفنية – فليس بالاقمار الصناعية والقنوات الفضائية واحدث المطابع الصحفية وحدها يحيا الاتصال في عصر المعلومات، وعلينا ان نقر باننا لم نرصد بعد مسارات الخريطة الجيو- اعلامية الحديثة، وهو ما عبر عنه التقرير الاستراتيجي العربي للعام 1999 بضعف الاستجابة إلى عولمة الإعلام .

لقد فقد اعلامنا العربي محوره، واضحى مكبلا بقيود ارتباطه الوثيق بالسلطة، تائها بين التبعية الفنية والتنافس السلبي على سوق اعلامية اعلانية محدودة، وكان نتيجة ذلك ان اصبح رهين الاعلان من جانب وذليل الدعم الحكومي من جانب آخر .

ان اعلامنا العربي يواجه عصر التكتلات الإعلامية مشتتا عازفا عن المشاركة في الموارد، يعاني من ضمور الانتاج وشح الابداع حتى كاد –وهو المرسل بطبيعته- ان يصبح نفسه مستقبلا للاعلام المستورد ليعيد بثه إلى جماهيره، وأوشكت وكالات الانباء لدينا ان تصبح وكالة للوكالات الاربع الكبرى حتى فيما يخص اخبارنا

---

(1) الاتصال الدولي العربي ص319

المحلية، لقد ارتضينا ان نوكل إلى غيرنا نقل صورة العالم من حولنا بل صنع صورتنا عن ذاتنا أيضا .

أما شبكة الانترنت فلم ندرك بعد مغزاها الثقافي لكي يمكننا ادراك مغزاها الاتصالي الإعلامي، وذلك على الرغم من قناعة الكاتب بقدرتنا على اللحاق باعلام الانترنت وهو ما زال في مهده)[1]

بعد ذلك يشخص بعض عيوب الإعلام العربي من منظور ثورة الإعلام والاتصال فيقول تحت عنوان التناقض الجوهري { يشكو اعلامنا من تناقض جوهري، بعد أن تخلى عن مهمته التنموية الاساسية ليسوده طابع الترفيه والإعلام على حساب المهام الاخرى ويقصد بها مهام التعليم والتوعية الثقافية واعادة احياء الارادة الجماعية للمشاركة في العمل الاجتماعي –ومن قبيل الانصاف –فان اعلامنا شأنه شأن معظم نظم الإعلام في دول العلم الثالث يعمل تحت ضغوط سياسية واقتصادية تناى به عن غاياته الراهنة تعمل على زيادة هذه الضغوط مما يتطلب سيادة اعلامية اكثر صمودا ومرونة وابتكارا)[2] .

لقد لخص تقرير الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا واقع الإعلام العربي الذي وصفه بأنه لم يرتفع إلى مستوى الرسالة المنوط بها تعميق وعي المواطن واشراكه في التفاعل واسهامه في البناء الجماعي، **وان اعلامنا العربي يواجه مأزقا رباعي الجوانب :**

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص446

(1) ن م ص447

1- مأزقا سياسيا : في كيف نوفق بين عولمة الإعلام وسيطرة الدولة وتوقعات جماهيره

2- مأزقا اقتصاديا : في كيف يتنافس في عصر الانتاج الإعلامي الضخم وارتفاع كلفة بناه التحتية

3- مأزقا ثقافيا : في كيف يصبح درعا ضد ما يهدد هويتنا وقيمنا وتراثنا

4- مأزقا تنظيميا : في كيف تكتسب مؤسساتنا الإعلامية المرونة التنظيمية والكفاءة الادارية والفنية تلبية لمطالب اعلام عصر المعلومات وديناميات الهادئة .

وعلى مستوى ثقافة الانترنت يحدد الدكتور نبيل علي تحديات الثقافة العربية عبر الانترنت يقوله {تمثل الانترنت بالنسبة لنا –نحن العرب- تحديا ثقافيا قاسيا على الجبهات جميعها ، سواء فيما يخص مضمون رسائلنا الثقافية وقيمة تراثنا عالميا وفاعلية مؤسساتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية ، او فيما يخص اساليب حوارنا فيما بيننا ومع الغير ،ونحن مهرضون لحالة فريدة من الداروينية الثقافية اصبحنا مهددين في ظلها بفجوة لغوية ستفصل بين العربية ولغات العالم المتقدم تنظيرا وتعليما واستخداما وتوثيقا – مثلما نحن مهددون –أيضا بسلب تراثنا من فنون شعبية واغان ومقامات موسيقية وازياء وطرو معمارية ، وفي المقابل تفتح الانترنت امامنا فرص عدة لتثبيت دعائم ثقافتنا العربية بصفتها ثقافة انسانية عالمية اصيلة ،وتعويض تخلفنا في كثير من مجالات العمل الثقافي .

ان الموقف يتطلب اعادة النظر بصورة شاملة في سياساتنا الثقافية تجاوبا مع ثقافة الانترنت، وذلك في اطار الاستراتيجية الشاملة للثقافة العربية التي اعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووفقا لتوجيهات مؤتمر اليونسكو باستكهولم)[1] .

ان القاء نظرة على معنى الانترنت كما يفهمها العرب يعطينا صورة سلبية تكاد تجعل بعض الدول تحجم عن السماح لمواطنيها باستخدامه او توفيره بمبالغ زهيدة، وقد اعلنت منظمة صحفيون بلا حدود عن اربعة دول عربية تعتبرها من اعداء الانترنت منها السعودية ومصر وتونس وسوريا ،حيث قامت بحجب كثير من المواقع المعارضة لها .

وفي استطلاع اجراه احد الباحثين وزع خمسمائة استمارة طلب معلومات حول الموقف من الانترنت في لبنان وزع على اوساط جامعية كالجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية وكلية الإعلام واتلتوثيق في الجتمعة اللبنانية نجد مواقف حادة جدا ضد هذه الخدمة الانترنيتية، فالبعض يقول[2] { انها نوع من الاستعمار الامبريالي هدفه السيطرة على الشعوب ومحاربة الاديان وخاصة الدين الاسلامي، والانترنت تركز اكثر ما تركز على الجنس والقمار وهدفها الاستهلاك والحصول على الثروات العربية- واستمارة اخرى تقول { الانترنت نوع من الغزو الثقافي واللغوي الذي يهدف إلى خلق مجتمع علابي استهلاكي وحسب، لهذا يجب التركيز على امننا الثقافي العربي، انه غزو مزدوج امريكي واوربي، ومهما خزنت من معلومات فان العرب اساسا لا يقرؤون- ورأي

---

(1) ن م ص125

(1) الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص388

آخر يقول {انها تعود اطفالنا وابناءنا على الادمان تماما كما الادمان على الخمر والدخان والمخدرات احيانا كثيرة، وهي تؤدي إلى تفسخ العائلة وانقسامها، وقد تورث الاطفال في المستقبل مشاكل نفسية، وربما يرتكبون اعمالا منافية للحشمة وغير قانونية، وقد تؤدي الانترنت إلى انفاق الاموال الطائلة على استخدامها هذا ما هو حاصل) .

ان هذه التصورات تعكس تخلفا كبيرا عن مواكبة ثورة المعلومات وتقنية الاتصال والعولمة، وهو هروب إلى الداخل ورفض لما لا يمكن رفضه، ولعل خير موقف يمكن اتخاذه في عصر العولمة من ثورة المعلوماتية وتقنية الاتصالات وخاصة الانترنت الذي اختصرها جميعا هو ما تحدث به احد الكتاب تحت عنوان ايجابيات العولمة على العالم الثالث ومن ضمنها الاقطار العربيةوابرز هذه الايجابيات هي :

1- تتيح للعرب والعالم الثالث منفذا ولو محدودا للاستفادة وربما المشاركة فرثورة تكنلوجيا الاتصال، الإعلام، المعلوماتية

2- كثرة وتعدد وسائل الإعلام واختراقها الحدود السياسية للدول وتوافر تطبيقات الوسائط المتعددة، وقد يقلل من قدرة الإعلام المحلي على اخفاء الحقائق والهيمنة السياسية وتزييف وعي مواطنيه.

3- ان خصخصة وسائل الإعلام والسماح للقطاع الخاص بالاستثمار قد يؤدي إلى تعميق الديمقراطية ويدعم مؤسسات المجتمع المدني .

وعلى كل حال فإننا نرى العولمة لا يمكن رفضها لاعتبارات عديدة ابرزها الفجوة الكبيرة في مجال بناء المؤسسات السياسية والاجتماعية والتكنولوجية للعرب، والخلل الواضح في النظام السياسي العربي، وانعدام مبدأ الديمقراطية، وحق الاتصال والتعبير، ولذلك فان

التحديات كبيرة ولا يمكن لدول العم الثالث الا ان تأخذ من العولمة ما يفيدها وترفض ما يهدد أمنها واستقلالها وقيمها وهويتها وهذا لا يتم الا بالمشاركة الفعالة مع العصر وثوراته التكنولوجية، وتحصين مجتمعاته بالعلم وخلق بيئة صحية للابداع ،واعطاء الحق لمجتمعاتها بالمشاركة في صنع القرارات والتعبير عن افكارها بحرية بعيدة عن القمع والقسر ولا يمكن مواجهة العولمة الا بتحقيق الديمقراطية في المجتمعات العربية)[1].

لقد كانت الصحافة العربية من اوائل من استفاد من الانترنت حيث ان اول صحيفة عربية انتقلت إلى الصحافة الالكترونية عبر الانترنت هي جريدة الشرق الاوسط وذلك عام 1995 تبعتها جريدة الحياة والنهار عام 1996 ،واليوم نجد ان الصحف العربية

كلها تقريبا اخذت مساحات لها على الانترنت، وكذلك الاذاعات والتلفزيون وغيرها كما ان التجارة الالكترونية العربية دخلت إلى ساحة الانترنت بثقلها ولاتكاد تجد دورة تجارية الا وللعرب بمالهم من اقتصاد وتجارة وجود داخلها، كما ان المواقع العربية على الانترنت تزداد اتساعا ومساحة وتفاعلا كل يوم، وبهذا تكون المشاركة العربية – على قلتها – قد بدأت فعلا صراعها عبر الانترنت مع الأفكار والدعايات التي تريد الاساءة اليها ،كما ان الاحزاب العربية المؤيدة والمعارضة لها مساحات معينة على الانترنت وتسمع صوتها إلى العالم كله ،بل ان المقاومة العربية والاسلامية لها منافذها الخاصة عبر هذه الشبكة ببياناتها واعمالها البطولية والجهادية.

---

(1) التصال الدولي والعربي ص97

واذا كانت دول الغرب وامريكا بالذات تحارب الاسلام فانها وجدت في شبكة الانترنت اوسع وسيلة للتأثير سواء كانت تحاربه باسم الارهاب او باسم غيره.

وبالتالي فالعولمة عبر الانترنت لا تحارب افكارها العدائية ألا بنفس الاسلوب وعلى نفس الشبكة، ومن اراد ان يدلي برأي او لديه وثيقة او أي اداة او رسالة اعلامية فالشبكة لا تستطيع رفض للمشاركة، انها تنتقد نفسها احيانا وتصفها بمختلف الاوصاف المتناقضة ومع هذا تبقى مفتوحة امام الجميع .

فعلى العرب بما لهم من قدرة كتابية واعلامية ان يتفاعلوا اكثر مع الشبكة للحصول على اكبر قدرة من المساحة والتأثير على الرأي العام الدولي، ولن يفيدنا ان نكون مثل النعامة نغرق رؤوسنا في الرمال بحجة الدفاع عن النفس والخطر، لأن الانترنت بعولمته الإعلامية والسياسية والاقتصادية هو فيضان معلوماتي لا تقف امامه كل سدود العالم لانها تنتقل بالفضاء والهواء عبر الضوء وشبكة الالياف الدقيقة، فهل سنستجيب لهذه الدعوة المفتوحة التي تعرض لنا وعي الانسان العالمي مستقبلا مرحبا بكل ما نطرحه من أفكار وسياسات ؟